منشورات مجلة المشرق

السلسلة الاولى

١

189.3
M951kA
C.1

كتاب الخلوة والتنقّل
في العبادة ودرجات العابدين

تأليف

الحارث بن اسد المحاسبي

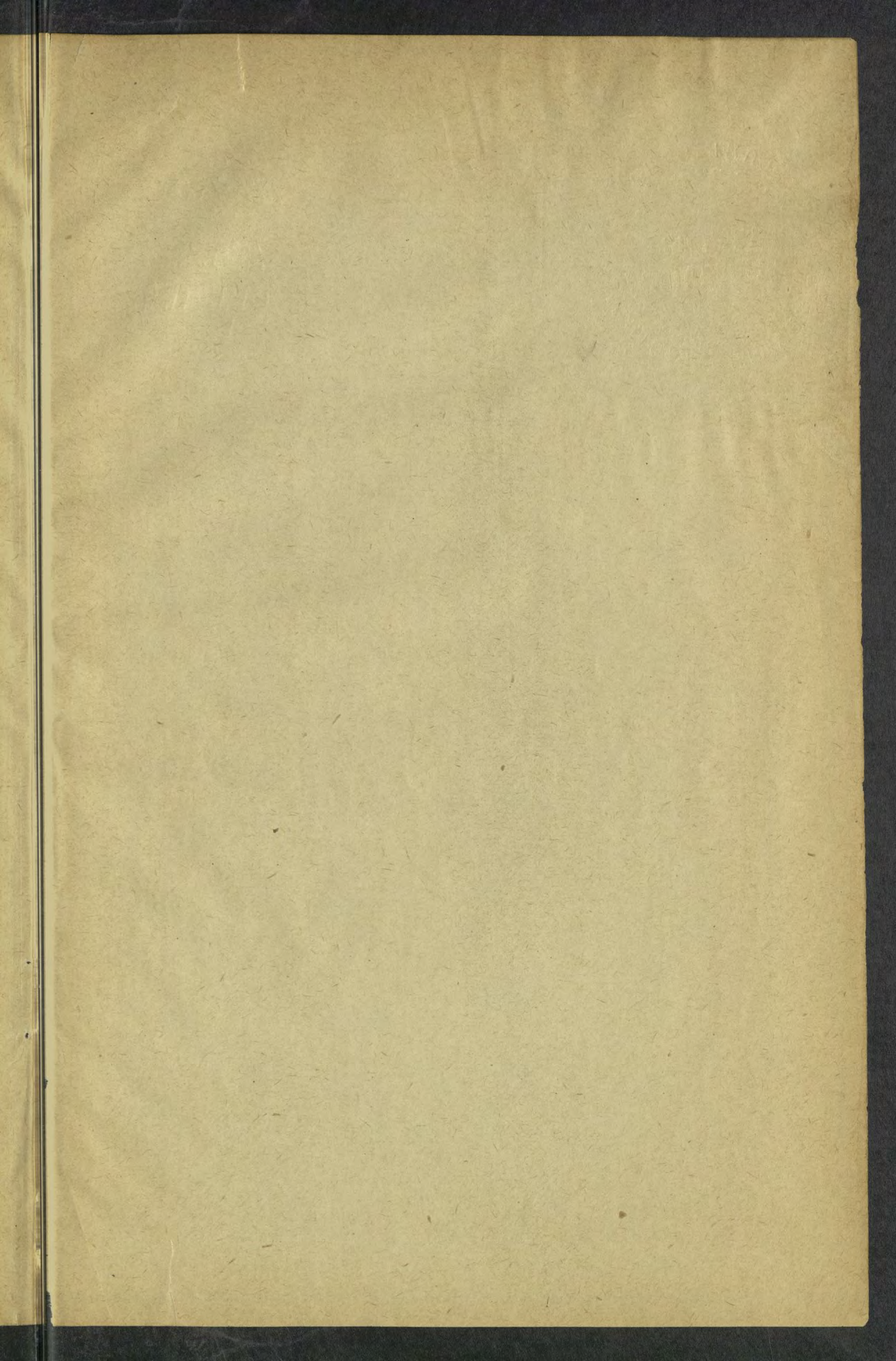
نشره عن نسخة يتيمة ووضع مقدّمته وعلّق عليه

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

المطبعة الكاثوليكية

بيروت

١٩٥٥



تصدير

لقد عمدنا ، بعد التريّث الطويل والتردّد ، إلى ان نلحق بمجلة المشرق سلسلة منشورات مثلّثة الشُعُب ، تضمّ بين دفّتها نصوصاً او دروساً نُشرت في المجلّة او كُتبت لهذه الغاية .

وقد رأينا ان نقتصر على هذه الشُعُب الثلاث : فالاولى تضمّ نصوصاً لاهوتيّة وفلسفيّة والثانية تجمع دروساً لغويّة وادبيّة والثالثة تحتفظ بما يتعلّق بالتاريخ وما اليه .

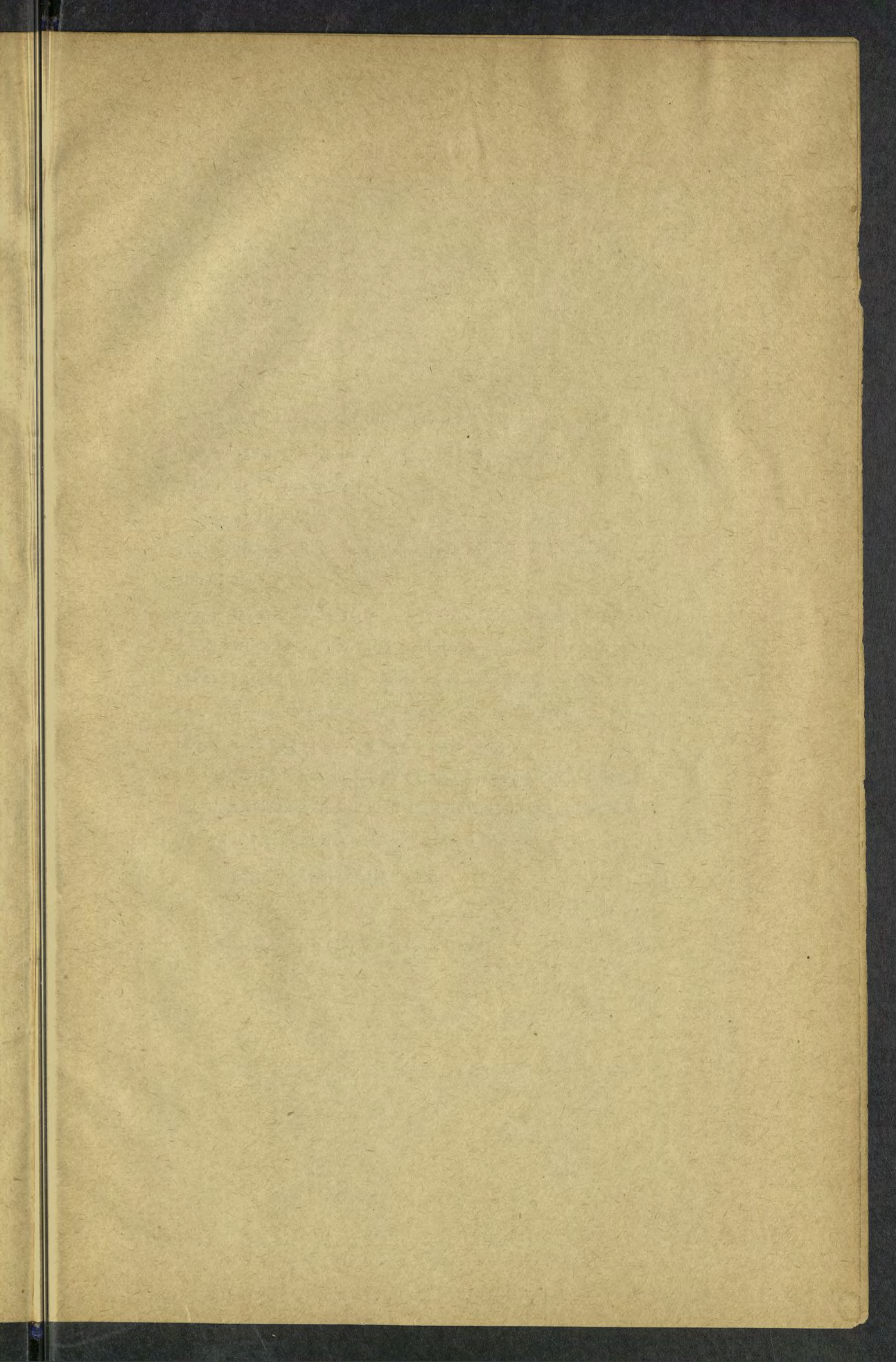
ولا يغرب عن اهتمامنا ان ما في مجلّة المشرق من الدروس القيّمة – اذ هي بمثابة دائرة معارف اكتنزت ثروةً طائلةً غربيّة وشرقيّة خدمت بها العلم والادب وهواتهما – يكوّن لرائد العلم ينبوعاً صافياً يستقى منه دون انقطاع . ولهذا فاننا عازمون ايضاً على جعل هذه الدروس في متناوله اذ هي الآن صعبة المنال فنجمعها ونبوّبها وننشرها فنؤدّي خدمةً جلّى .

وها نحن اليوم نبدأ السلسلة الأُولى ناشرين مخطوطةً يتيمةً للحارث بن اسد المحاسبي جعلناها فاتحةً لأنّ ما فيها من الدرس الروحي والنفساني لجدير بان يوقف انتباه القارئ ويحمله علي التفكير والاستقراء .

وعلى الله الاتّكال ومنه التوفيق .

ا. ع. خ.

بيروت في ٣ كانون الاول سنة ١٩٥٥



كتاب الخلوة والتنقّل في العبادة ودرجات العابدين

تأليف الامام العارف ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي

رحمه الله

توطئة

اً – لمحة عن حياة المؤلف

المحاسبي امام من اكبر ائمة الصوفية واستاذ اكثر البغداديين. تشهد له مؤلفاته العديدة بطول الباع، بغزارة العلم ووضوح العقل.

تضاربت فيه الآراء. فمنهم من انتقده وجعل مؤلفاته من نتج الشيطان والزندقة، ومنهم من اقتفى اثره وتأثّر بافكاره ومذهبه وطريقته الواعية في التصوّف من تحديد مفردات وتحليل المواقف الصوفية العديدة التي يتبعها المريد في سيره وراء الاتحاد بخالقه ونزع الخطيئة من نفسه بُغْيَةَ الاستقرار بعد المراحل الشاقة وارضاء وجه الله السرمدي.

فلقد تكلّم عنه ابو نصر السرّاج[1] وذكر له بعض التعابير في شتى الابواب دون ان يحكم على صدقه او زندقته. وزاد عليه ابو طالب المكي[2] والكلاباذي[3]

---

1) ابو نصر عبدالله بن علي السراج الطوسي : كتاب اللُّمع – طبعة رنولد الّن نيكلسون – ليدن – بريل ١٩١٤، ص ٤٥، ١٨٢ الخ in « E.J.W. Gibb Memorial old series, vol. XXII ».

2) قوت القلوب . طبعة القاهرة ١٣١٠، الجزء الثاني ص ١٥٨

3) كتاب التعرّف، طبعة القاهرة ١٣٥٢، ص ١٦ وما يليها – وتذكر ايضاً Miss Margaret Smith اسماء السلامي، وكتابه « طبقات الصوفية » وابي نُعيم و« الحلية الاولية »، في طبعتها « كتابه الرعاية لحقوق الله عزّ وجلّ » للمحاسبي في « E. J. W. Gibb Memorial new series XV »، ص XV سنة ١٩٤٠ لندن.

والقشيري[١] والهجويري[٢] والعطّار[٣] وسيف الدين السهروردي[٤] والجامي[٥] والشعراني[٦] وعبد الكريم ابن محمد السمعاني[٧] مادحاً اذ قال : « والحرث احد من اجتمع له الزهد والمعرفة بعلم الظاهر والباطن . . وله كتب كثيرة في الزهد وفي اصول الديانات والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وكتب كثيرة الفوائد جمة المنافع » . ولن ننسى الامام الغزالي الذي يُقرّ بما للمحاسبي عليه من الفضل اذ انه يذكر مرارًا في « المنقذ »[٨] و « احياء علوم الدين » الفائدة العظمى التي نالها من مطالعته كتب المحاسبي . وقد حفظ حاجي خليفة ما كتبه حجة الاسلام في « الاحياء » : « المحاسبي خير الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين من عيوب النفس وآفات الاعمال وكلامه جدير بان يحكى على وجهه »[٩] .

وهناك مؤلفو الموسوعات الكبيرة وكتب الطبقات الذين خصّوا المحاسبي بالذكر منهم عبد القاهر البغدادي والحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي[١٠] والشهرستاني[١١] وابن خلكان[١٢] والذهبي[١٣] وعفيف الدين

---

١) الرسالة القشيرية . طبعة مصر ١٨٦٧ ص ١٥، ٤٦ وما يليها .
٢) كشف المحجوب ، ترجمة نيكلسون ص ١٧٦
٣) تذكرة الاولياء ، طبعة نيكلسون الجزء الاول .
٤) عوارف المعارف ، على هامش احياء علوم الدين ، طبعة مصر ١٢٧٢ ، الجزء الرابع ، ص ٢١٣، ٣٢٦
٥) نفحات الانس ، الجزء ٥٢
٦) الطبقات الكبرى ، طبعة مصر ١٩٢٥ ، الجزء الاول ، ص ٦٤
٧) كتاب الانساب ، طبعة مرغليوث «E. J. W. Gibb Memorial», old series, XX ص ٥٠٩ ، سنة ١٩١٢ لندن .
٨) المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال ، الطبعة الاولى ١٣٥٢/١٩٣٤ طبعة ابن زيدون بدمشق ص ٤٥، ٥٩ .
٩) كشف الظنون ، طبعة فلوچل ، ليبسيك ١٨٣٥ ، الجزء ٣ ، ص ٤٧١ والجزء الخامس ص ٨٧
١٠) تاريخ بغداد او مدينة السلام ، طبع بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد ومطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ١٣٤٩ هـ الموافق ١٩٣١ م ، المجلد الثامن ص ٢١١—٢١٦
١١) كتاب الملل والنحل ، طبعة لندن ١٨٤٢ ص ٦٥
١٢) كتاب وفيات الاعيان — ترجمة دي سلان ، الجزء الاول ص ٣٦٥
١٣) ميزان الاعتدال ، طبعة لكنو ١٨٨٤ ، الجزء الاول ص ١٧٢

اليافعي[١] وتاج الدين السبكي[٢] اذ يقول ان المحاسبي « علَم العارفين في زمانه واستاذ السائرين الجامع بين علمي الباطن والظاهر . . . سمّي المحاسبي لكثرة محاسبته لنفسه . . كان امام المسلمين في الفقه والتصوّف والحديث والكلام وكتبه في هذه العلوم اصول من يصنف فيها واليه ينسب اكثر متكلمي الصفاتية » .

وقد ذكر المحاسبي ايضاً جمال الدين ابن الحسن علي بن يوسف القفطي[٣] وابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي[٤] وجمع ابن النديم[٥] ما قاله من سبقه من المؤلفين في عبارة اصاب فيها ما يميّز المحاسبي في مؤلفاته : « المحاسبي البغدادي من الزهّاد المتكلمين على العبادة والزهد في الدنيا والمواعظ وكان فقيهاً متكلماً مقدماً. كتب الحديث وعرف مذاهب النسّاك وتوفي سنة ثلث واربعين ومائتين وله من الكتب كتاب التفكّر والاعتبار . قال الخطيب له كتب كثيرة في الزهد واصول الديانة والردّ على المعتزلة والرافضة » . ولابن حجر العسقلاني[٦] جولة موفّقة في المحاسبي لم تتم لغيره ممن انتقده من الحنبليّين ولنا على ذلك برهان نقتطفه من تاريخ بغداد لابن الخطيب يلمّح فيه الى الحرب الشاقّة التي شنّها خصوم المحاسبي عليه وهم كلهم من اتباع ابن حنبل فقال « شهدت ابا زرعة (الرازي + ٢٦٤) وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل اياك وهذه الكتب . هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فانك تجد فيه ما يُغنيك عن هذه الكتب »[٧] .

وبينما كان الحنبليّون يضطهدون المحاسبي اضطهادًا مرًّا ويضطرونه الى ترك مدينة السلام ، بغداد – بعد ان درّس فيها مدة طويلة – الى الكوفة بعيدًا عن اصحابه وتلامذته في عزلة لا يؤنسه فيها بشر حيث مات وحيدًا سنة ٢٤٣ هـ ٨٥٧ م ، كان الصوفيّون والاشعريّون يعتبرونه حجّةً لهم ، مهّد لهم الطريق

---

١) روض الرياحين . طبعة مصر ١٢٨٦ ، ص ١٥
٢) طبقات الشافعية الكبرى ، طبعة مصر ، بدون ذكر السنة . ص ٣٧
٣) تاريخ الحكماء ، طبعة ليبرت ، ليبسيك ١٩٠٣ . ص ١٦٠
٤) نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس ، طبعة مصر ١٣٤٠ ، ص ١٧٧–١٨٠
٥) كتاب الفهرست ، طبعة فلوچل ، ليبسيك ١٨٧٢ ص ١٨٤
٦) تهذيب التهذيب . طبعة حيدرباد ١٣٢٥ الجزء الثاني ص ١٣٦
٧) راجع تاريخ بغداد المذكور اعلاه ص ٢١٥

ودلهم على السبيل السوي لمحاربة اخصامهم المعتزلة اذ استعار مفرداتهم وطرق تفكيرهم ومنطقهم لنقض آرائهم . فلا بدعَ اذا عُدَّ المحاسبي بين الشيوخ الخمسة الذين ذكرهم السبكي[١] والذين يرجع اليهم الكثيرون كحجّة مثلى وامل . كان المحاسبي من مواليد سنة ١٦٥/٧٨١ . ولد في البصرة .

٢ – المخطوط

في مكاتب تركية عامّة واستنبول خاصّة كنوز لا تُحصى ودفائن لم تصل بعد اليها يد العلماء والمنقّبين ولم تحصرها همّة المؤرّخين فلا أثر لها في أثباتهم ولوائحهم وقد اهمل ذكرها كبار المحقّقين مع انها من اوثق المؤلفات ومن اغناها قيمة . يذكر العدد الكبير من المؤلفين الذين تقدّم ذكرهم – وهم من المقدّمين – مؤلفات المحاسبي في عبارة شاملة لا يستفيد منها من يفتّش بدقّة عن معلومات تُعيد المؤلّف وجهه وميزاته : « له مؤلفات عديدة ، كثيرة الفايدة ، جمّة المنافع »[٢] . منهم من ذكر كتاباً او كتابين[٣] . فالتجأنا الى ما كتب المحدثون عن المحاسبي ان في دائرة المعارف الاسلامية[٤] او في الكتب والمجلات كالمستشرق مرغليوث[٥] ومرغريت سميث[٦] وعبد الحليم محمود[٧] ومَن نشر من مؤلفات المحاسبي شيئاً كماسينيون[٨]

---

١) راجع طبقات الشافعية الكبرى ص ٣٧

٢) راجع مثلاً تاريخ بغداد لابن الخطيب البغدادي الجزء الثامن ص ٢١١

٣) راجع كتاب الفهرست لابن النديم ص ١٨٤ – والهجويري : كشف المحجوب ص ١٠٨ – وابن خلكان : وفيات الاعيان ، الجزء الاول ص ٣٦٥ الخ .

٤) راجع Encyclopédie de l'Islam, III, 746-747

٥) D. S. Margoliouth : *Notice on the writings of... al-Muhāsibī, the first ṣūfī Author in Transact. of the III intern. Congr. for the History of Religion*, Oxford, 1908, I, 292 ff.

٦) Dr. Margaret Smith : *An Early Mystic of Baghdad*. London 1935, pp. 44-49 et passim.

٧) Abd-al-Ḥalim Maḥmoud : *Al-Mohasibī, un mystique musulman religieux et moraliste*, Geuthner, Paris 1940.

٨) Louis Massignon : *Recueil de textes inédits concernant l'histoire de la Mystique en pays d'Islam*, — Geuthner, Paris 1929. pp. 17-24 ; — cf. du même, *Essai sur les origines du lexique technique de la Mystique musulmane*, Geuthner, Paris, 1922, pp. 211-225.

وشبيس[١] واربري[٢] وسميث[٣] خاصّة او مَن تعاطى تاريخ الآداب العربية كبروكلمن[٤] فلم نجد للمخطوط الذي نحن بصدده ذكرًا . وكنا نظنّ ان بروكلمن الذي نوّه الى عشرين[٥] مؤلفًا للمحاسبي قد وقع على مخطوطنا . فلم نحظَ بينهم على المؤلف الغالي الذي تكرّم به علينا الاستاذ احمد اتش من جامعة استنبول بعد ان وصفه في مجلة « اورينس »[٦] الالمانية .

فمخطوطنا يتيم اذًا لم نعثُر له على شبيه في مكاتب الشرق والغرب . وهو مقتطف من مجموعة مؤلفات صوفية ضخمة (٢٧٠ ورقة) تحت رقم ٢٧١٣ . كتب على ورق عاديّ بخطّ نسخي واضح دون زخرفة ، ولقد اغفلت نقط الحروف فيه فصعبت قراءته . مجلّدًا تجليدًا نصفيًا وعند تجليده اهمل تتابع الملزمات فيه فتقدّمت الواحدة الاخرى دون ان تضيع منه ورقة. وتنبّئنا بذلك الصفحة ١٨٠ اذ حوت ثبت كل تلك المؤلفات فنجدها كلها مع بعض الالتباسات. فلا نرى تتابعًا مثلًا بين الصفحة ١٤٩ والصفحة ١٥٠ اذ ان الصفحة ١٤٩ تكمّل في الصفحة ١٦٠ وما بين الصفحة ١٥٠ و الـ ١٦٠ يتعلّق بمؤلف اخر. حبره اسود. زيدت في الهوامش بعض الكلمات المنسيّة في النصّ . حالة المخطوط سيئة وهذا ما يدلّ على ان المجموعة قد تداولتها الايدي . نجد في الصفحة ١٧٩[a] اسم الكاتب وهو يونس بن عبدالله وقد انهى نقل المجموعة في شعبان ٦١٥ الا ان

---

١) Otto Spies : *Ein Fragment aus dem Kitāb aṣ-Ṣabr war-Riḍā des al-Ḥāriṭ al-Muḥāsibī*, in Islamica, Band VI, Heft 3, 1934, pp. 283-290.

٢) Arthur J. Arberry : *Kitāb al-Tawahhum by Harith ibn Asad al-Muhasibī* — Cairo, 1937. — Cf. du même, *Sufism an Account of the Mystics of Islam*. London 1950, pp. 44-49.

٣) Margaret Smith : *Kitāb al-Riʿāya liḥuqūq Allāh* by Abū ʿAbdallāh *Ḥārith ibn Asad al-Muḥāsibī*, in « E. J. W. Gibb Memorial », new series, vol. XV, 1940.

٤) C. Brockelmann : *Geschichte der arabischen Litteratur*, erster Band-Brill-Leiden 1943, p. 213. — Cf. du même, *GAL, suppl. Band* I, p. 253.

٥) لم يذكر منها لويس ماسينيون الا ١٨ مؤلفًا . راجع ... Essai ص ٢١٣ — ٢١٥

٦) *Oriens*, éd. Brill-Leiden vol. V (1952) n. 1, pp. 28-29

الصفحة ٢٧٠^b تنبئنا ايضاً باسمه وباليوم الذي فيه نجز نقل المخطوط وهو الخميس ٢٥ شعبان ٦١٥ .

قياس المجموعة ١٦٫٧ × ١٢٫٤ س ومساحتها المكتوبة ١٢٫٥ × ٩ س. وفي كل صفحة ١٧ سطرًا

٥

تعاطى المحاسبي — مَن تعوّد محاسبة نفسه — الدرس النفساني وتحليل الارادة في نزعاتها المختلفة . فنراه من كتبه المطبوعة — كما نراه هنا — يلج رويدًا رويدًا الى اعماق النفس يسير في خباياها دارساً وواصفاً . وما درسه الّا ليقف على عيوب النفس وآفات الاعمال . وما وصفه الّا ليساعد في سيره ذلك المريد الذي يفتّش عن الطريق المؤدّية الى الكمال .

وكأني به طبيباً ماهرًا اتّصف بدقّة التحليل وحسن التعبير وقوّة الحجّة يفتّش عن اصل تلك الآفات ليستأصله فيصوّب مبضعه الى الرياء ، تلك العلّة العظمى التي تعكّر صفاء النيّة وطهارة الجانب وتجعل الانسان يبتعد عن نفسه ومتطلباتها الاصيلة فيُسيء الى ذاته ، ذلك الرياء الذي يحمل الانسان على الخبث واللهو والترف وحبّ المادّة فلا يصدق له وعد فينبذُه الناس ولا يحترم ميثاقًا فلا يؤتمن على امر . ويجرّب اذًا وصف العلاج عامدًا الى التأثير على السالك من باب العقل فيُحبّب اليه الصدق وحسن الظنّ والصمت والخلوة فاذا ابى ولم يعقل عمد اذاك الى تحريك عواطفه وشعوره بالخوف والرجاء ، بالترغيب والترهيب ليحمله على ترك المعاصي والسيئات . فان هو همَّ في اتّباع النصائح ولم ينجح بات قلقاً مضطرباً ومائلًا الى القنوط فيقوم اذاك المحاسبي ليزجره عن القنوط .

هذه هي الطريقة التي اتّبعها المحاسبي في هذا المخطوط وفيها من صراحة التحديد ودقّة التحليل ما يجعله بين احسن مؤلفاته واجزلها عائدة .

٥

واننا نُرجئ الى الخاتمة درساً ضافياً عن تطوّر فكرة المحاسبي في هذا المخطوط وعن لغته ومفرداتها العلمية ومقابلة مخطوطنا هذا بكتب المحاسبي المطبوعة .

(1v) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

باب الاجتهاد والخلوة وقصر الامل وغير ذلك

قال الامام ابو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي رضي الله عنه اعلم رحمك الله ان اهل طاعة الله قدموا بين يدي الاعمال لطيف معرفة الاسباب التي بها يستدعى صالح الاعمال ويسهل عليهم ماخذه توطيناً منهم لانفسهم على استصحابه الي انقضا اجالهم فيصير مآلهم في الدنيا يوماً واحداً وليلةً كلما مضت استأنفوا النية وطلبوا من انفسهم حسنَ الصحة ليومهم وليلتهم فكل ما مضى عنهم يوم تحسن منهم الصُحبة له او ليلةٍ راقبوا انفسهم فيها على جميل الطاعة كان عندهم غنماً وذكرو اليومَ الماضي فسُروا به وصبرُو انفسهم عن المستقبل لانقضآء الاجل فيه او في ليلةٍ وطرحوا شغل القلب بذكر غدٍ واعملو ابدانهم وجوارحهم فيه وتفرغو له فقصرت عنهم الامال وقربت منهم الاجال وتباعدت اسباب وساوس الدنيا من قلوبهم وعظم شغل الاخره (2r) في صدورهم فنظروا الي الاخره بعين صحيحةٍ بصيرةٍ وتقرّبوا الي الله باعمال زاكيةٍ فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة فاحبوا البقاء في الدنيا عمر الدنيا حين ساعدتهم الزيادة من التقوى فقرّت بالخوف اعينهم وتعموا بالحزن في عبادتهم حتى نحلت اجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذو بمناجاة سيدهم فقلوبهم بملكوت السماوات متعلقة وفكرُهم باهوال

القيامة مقبله مُدبرة وابدانهم بين المخلوقين عاريه فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعن اهلها وما فيها ووضح لهم امر الاخره حتى كانهم ينظرون اليها فتخلص قوم الي ذالك من طريق الاجتهاد فاجتهدوا في الصوم لهدوء الجوارح عنهم ولتذل الانفس لهم وتخضع الجوارح واجتهد قوم في الصلاة لدوَام الخشوع عليهم واجتهد قوم في الوَرَع ليطيب لهم المَطعم وفطنوا انه لا يزكوا لهم عمل من اعمال البرّ الَّا بطيب مَطعمهم واجتهد قوم في ترك الشهوات وطلب القوت وَما اشبه ذلك من رياضة النفس حتى افضوا بالانفس الى الجُوع ونحول الجسم [2v] فنظرت في ذلك فلم ار شيئاً اقرب في مصلحت (كذا) النفس والعيش من حِمية النفس عن الفها وقَطعها عن مُزارلة المخلوقين بمنع الحواس عن الاخبار التي فيها تهيج القلوب بالحركات واضطراب الجوارح وتهيجها على العمل وانما اعني بالحواس السمع والبصر والشم الذي يمكن تحسس الشيء فاذا فقد القلب ما تجتلب له الحواس سكن عن الحركه فاجابته الجوارح بالهدو. فعند ذلك يتفرغ القلب لاعمال البر ويصغر فيه كيد ابليس لان سلاحه قد تعطل عند تطلع ما تجلب الحواس عنه ورهن سلطان الهوي فيه وقويت دلالات سلطان العقل بالفكر واشتغل وغاب على القلب اذ ضعف ضده فعند ذلك يغلي قلب العبد بالفكر فيهيج من ذلك الخوف وتسورت عليه طوارق الاحزان فيبحث[1] عن امر الاخره ويترك الدنيا وما فيها فيورثه ذلك حب الخلوة فيُحبها ويلزمها ويانس بها ويستوحش من المخلوقين ويفرقهم وذلك حين جرت عُذوبة حلاوته في اعضايه كما تجري الما في اصل الشجره فاورقت اغصانها واثمرت عيدانها [3r] ولصق جوف ما تجي به القيامه بما يجي به قلبه فخالط سويدا قلبه فيهيج من الخلوة فنون من اصول الزهد في الدنيا لو اجتهد العبد في فن منها ان يستحكم له من غير هذا الطريق عظمت عليه فيه المونه واشتد عليه فيه العلاج فاما عازمٌ على الصبر واما عايد الي طباعه في التخليط فاذا رقي العبد الى دَرَجة الخلوة بالكره لذلك (×) والصبر عليه وداوَم عَلى ذلك واستحلاه نقله ذلك الي حب الخلوة فاول ما يهيج من حب الخلوة طلبه العبد للاخلاص والصدق في جميع قوله وفعله فيما بينه وبين ربّه ومخرجها من الصّدق فورثه حب الخلوة راحة القلب من عموم الدنيا وترك معاملة

١) في الهامش : بالبحث صح .

المخلوقين في الاخد والاعطاء ومخرج ذلك من صحّة العقل واسقط عنه حُب الخلوة وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المُنكر ومداهنة الناس فيما فيه تلفُ دينه من تركه لذلك ويخلوا بتتبّع أمر نفسه ويهيج من حُب الخلوة خمُول النفس والاغماض في الناس وهو اول طريق الصّدق ومنه الاخلاص. ويهيج من حب الخلوة الزهد في معرفة الناس والانس بالله واشتغال مجالسه غير [3v] اهل ذكر الله ويورث حب الخلوة طولى الصمت من غير تكلف اذا كان غير مصيب له مُكلما وغلبه الهوي والصبر ومنها يظهر الحلمُ والاناة ويهيج من حب الخلوة شغل العبد بعيُوب نفسه وقلة شغله بذكر غيره وطلب السلامَة ممـا فيه الناس ويهيج من حب الخلوة كثرة الهُموم والاخوان ومنها يهيج الفكر وهو افضل العبادة ومخرجه من خالص الفكر وتهيج من حب الخلوة الاعمال التي تغيب في اعين الناس وتظهر لرب العالمين وقليل ذلك كثير ومخرجه من الصدق ويهيج من حب الخلوة التيقظ من غفلة اهل الدنيا وفقد اخبار ما يذكر منها الخاص والعام ويورث حب الخلوة الامن من الريا وترك التزين للمخلوقين وكل ذلك من دواعي الاخلاص وهو محض الصدق ويورث حب الخلوة قلة المراء وترك الخصومة والجدال وهما ينفيان طلب الرياسة ويسلمان الي الصدق ويهيج من حب الخلوة اماتة الطمع ودواعي الحرص والرغبة في الدنيا وفيه قوةُ العقل ويورث حب الخلوة قلة الخلف في [4r] المواعيد والتوقي من الحنث في الايمان ومخرجه من الصدق ويُورث حب الخلوة قله الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحنا والغل للامة بسلامة الصدور ورقة القلب من طريق الرحمة وهما ينفيان الغلظة والقسوة وهما من دواعي الخوف ويهيج من حب الخلوه تذكّر النعم وطلب للالهام للشكر والزيادة من الطاعة ويهيج من حب الخلوة وجود حلاوة العَمل وَالنشاط في البكا بحزن من القلب مع تضرع واستكانةٍ ويهيج من حب الخلوة القنوع والتوكل وَالرضا بالكفاف والعفاف والاستغنا عن الناس ويهيج من حُب الخلوة عُروض[1] النفس عن الدنيا واشتياقها الى لقاء الله تعالى وهو من طريق حسن الظنّ بالله تعالى وخوف النقص في الدين ويهيج عن حب الخلوة حيا القلب وضيآ نوره ونفاد بصره في عيوب الدنيا ومَعرفة النَفس ومعرفته

١) في النص عُروف وهو غلط .

بالنقص والزياده في دينه ويهيج من حب الخلوة الانصافُ للناس والاقرار بالحق واذلال النفس بالتواضع وقلة الاعتداء ويهيج (4v) من حب الخلوة خوف ورود الفتن التي فيها ذَهابُ الدين والشوقُ الي المَوت قبل وقوعه خوفاً من سلب الايمان ويهيج من حب الخلوة الوحشة من الناس واستثقال كلامهم والانس بكلام رَب العالمين الذي جَعله الله نورًا وشفا للعالمين وحجة ووبالًا على الظالمين فاجعل الكتاب مفزعك الذي اليه تلجا وعصمتك الذي به تستعصم وحِصنك الذي اليه تاوي وذليلك الذي به تهتدي وشعارك ودثارك ومنهجك وسبيلك فاذا التبست عليك الطرق واشتبهت عليك الامور وصرت في حيرةٍ من امورك تضيق بها نفسك فعليك بالرجوع الى عجايب الكتاب الذي لا حَيرة فيه وقف على ذلالتها من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والي ما ندب الله تعالى اليه المومن من الطاعة وترك المعصية فانك تصير بصيرًا من حيرتك وعارفًا من جَهالتك ومستانساً من بعد وحشتك وقَويًا بعد ضعفك فليكن وليّك من دون المخلوقين نَفرٌ مع الفايزين ولا تهزّه كهزّ الشعر ولا تنثره نثرًا كنثير الرَمل (5r) وقف عند عجايبه وحدوده ومَا اشكل عليك فكله الي عَالمه ولا قوة إلّا بالله واعمل بالمحكم وآمن بالمثاب وكل علمه الي الله تعالى واذكر العلما ما حملته من الحدود والسنن وخذ بما اجمعُوا عليه وما اختلفوا فيه فخذ لنفسك بالحزم ولا تحمل خلق الله تعالى عليه ولا تالوهم نصحاً وحسن نظر . واعلم ان الاقاويل مَحفوظة والسراير مملوةٌ وكل نفس بما كسبت رهينة وقد اصبح الناس منقوصين مدحوابن الّا من عصم الله فقايلهم بَاغ وسامعهم عَايب وسايلهم معيب ومجيبهم متكاف يكاد افضلهم رأياً يرده عن افضل رايه ادنا الغضَب ويكاد اصلبهم عودًا تنكلوه اللحظة وتستجره الكلمة فلا فقر اشد من الجهل ولا مَال اعز من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا مُظاهرة اوفق من المشورة ولا عقل كالتدبير ولا وَرع كالكف ولا حسَب كحُسن الخلق ولا عباده كالفكر .

باب معرفة الاصل الذي يتفرع منه جماع الخير

سال سايل عن باب معرفة الاصل الـذي يتفرع منه جماع الخير قال اخبرني عن الاشيـا التي يتفرع من معرفتها جماع الخير (5v) وتجري بها المنافع ويصلح بها الاعمال من بعـد اليقين بالله تعالي فقال اعلم ان اصول الاشيا التي منها يتفرع جماع الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليها الاعمال من بعد اليقين ، معرفة النعم والعمل باداء الشكر وان يصح عندك ان جماع الخير مواهب من الله تعالى وهوَ تاسيس العفو وهو من طريق الرضا وان جميع الشر من المعاصي عقوبةٌ وهو من طريق الخذلان وهو علامة السخط ، فاذا عرفت ذلك كثرت حسناتك وقلت سياتك ان شاء الله لانك اذا عرفت ان الاحسان نعمة ومواهب منه بادرتَ في الشكر واستقللت اكثر شكرك عند اصغر نعمهِ عندك فجرَيت في ميدان الزياده من الخير وطمعت في العفو والرضا واذا عرفت ان الاَساة منك خذلان منه اياك وانه من طريق السخط فرغت الى التضرع والاستكانة فبادرت بالتوبة واستحييت مما تعرف من كثير احسانه ان تتضرع له بقلبك استكانةً مرادك الاحسان جُهرًا ثم التمست لطيف الشكر على انتقالك عن الإساَه ثم الشكر على تحويلك الي الاحسان (6r) فاذا انت في جميع احوالك زايد شاكر لم تعجزك معرفة الاحسان من اين فشكرت ولا معرفة الاساَة من اين فاستغفرت فهذا اصل يتفرع منه فنون الخير وتعلق به جماعُ ابواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

باب الاستدراج

وساله فقال متى يكون العبد كثير الاساَة غير راجع عنها وهو لا يعلم .

قال اذا كان عَمِياً عن عيوب نفسه كان كما وصفت وهو لا يعلَم قال ومتى يكون مصراً عليها وهو يعلم قال اذا عرف عيوب نفسه فعرفها فلمَ وهو لا ينزع عنها ، كان مصراً علي الذنوب وهو يعلم ، فمتى يكون مفتوناً تايباً وهو يعلم ، قال حين عرف عيوب نفسه فعرفها فلم يرض بها ونازعته نفسه اليها فجاهدَها فغلبها وَغلبته كان كذلك وهو يَعلم قلت فمتى يكون محسناً وهو لا يعلم قال فانه اذا اشتد خوفه مما قدم من الاساآة ظن ان لا يقبل منه مَعها احسان وخاف على احسانه ان يكون اساةً فانه يكون حينيذٍ محسناً تايباً وهو لا يعلم لغلبة الخوف عليه قلت فمتى يكون تايباً (6v) وهو يعلم ، قال فانه اذا كان لا يعرف عيوب نفسه فعرفها فانتقل عنها كان تآيباً وهو يعلم ، قلت فمتى يكون مُستدرَجاً وهو لا يعلم ، قال اذا عرف عيوب نفسه فعرفها ولم ينتقل عَنها فَزيد في بصيرته وفي الحجة الظاهرة واعجب بها وقوي على عبادته فهو مستدرج وهو لا يعلم قلت فمتي يكون مستدرجاً وهو يعلم قال هذا محال لان المستدرج ما لم يتبين له ما هو فيه لا يعلم من اين استُدرج ، فاذا عرف وعلم فقد اريد به خير لانه استبان عَيباً كان عنده حسناً فلما عُرف وعرف فراجع وخضع وتضرع فقُبل واستنقذ من طريق الاستدراج وهو العابد المضيِّع الشكر . والاستدراج اسم لمعنين فمعنى استدراج عقوبة يرجي منه الانابة واستدراج سخط لا انابة فيه ولا رجوع عنه واستدراج كل عبد على مقدار بغيته فمنهم من يُستدرج في الدُنو من الملِك والحُظوه عنده ، ومنهم التاجر يستدرج في التوسع في تجارته ، ومنهم العامة تستدرج في الاهل والولد والغاشية والتبع في الدنيا ويوطا عقبه ومنهم (7r) من يستدرج بعلمه اذا طلب ان يكرم عليه ويُعَظم ويُسمع قوله وذلك حظه من علمه وفيه استدراجه ، والعابد يستدرج بالزياده في بَصيرته وجميع من ذكرنا من المستدرجين لا يخلون من العُجب والريا كل مُزين له ما هو فيه لا يرى الا انه مَقبول منه احسانه وَقد عمي عن فتنة الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيراجع الانابة ويتفرغ للاستكانة ومنهم من يمهل على ذلك الي حضور الاجل يقول الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم لا تمدّن عينيك الي ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه فهذه فتنة الاستدراج وقال ايحسبون انما نمدهم به من مالٍ وبنين يسارع لهم في الخيرات

بل لا يشعرون وهذه فتنة الاستدراج قال وجعلت له مالًا ممدودًا وبنين شهودًا فهذه فتنة من الاستدراج ، وَالمستدرج مفتون لا يشعر بفتنته مُزَيّن له ذلك ، مستحسن ما فيه هو طالب للزيادة منه وهو لا يعلم فاحذروا فتنة الاستدراج اعاذنا الله واياكم منها فان للاستدراج عقوبة للمضيعين شُكر النعم . وسالت متى (7v) يكون الرجل غير موقن وهو لا يَعلم، قال اذا كان فيه اعمال ظاهرها اعمال الموقنين وباطنها اعمالُ اهل الشك فهو يعمل في الظاهر باعمال الموقنين وباطنه مشتمل علي تكذيب ظاهره وهو لا يعلم انه كذلك فهو حينيذ غير موقن ولا يشك انه موقن وذلك لان اعمال باطنه اولي من اعمال ظاهره ، ويحقق ذالك قول الحسن ان لك سريرةً وعلانيةً فسريرتك اولي بك من علانيتك ، وَسالت متى يكون الرجل غير موقن وهو يعلم، قال اذا عرف فنونَ اليقين واشكاله واعمال اهل الشك واشكاله فراي ان باطنه مشتمل على اعمال اهل الشك الزم نفسه انها غير موقنه ولم يلتفت الي ظاهر اعمالها ، يحقق ذلك قول الحسن لقد وارت الارض اقواما لو راوكم قالوا ما يُومن هَاؤلاء بيوم الحساب . وسالت متى يالفه اليقين وهو لا يعلم ، قال اذا عرف اضداد اليقين فنفرَ منها وعرف باطن اعمال الموقنين فسكن اليها وهو مستوحش من جميع اعماله لما دخله من رعب اعمال اهل التكذيب، فهو مشغول بما قد راعه من (8r) اقامته على اعمال اضداد اليقين ولا يبعد هذا من ان يثبت فيه اليقين وهو لا يَعلم . قلت فمتى يكون موقنا وهو يعلم ، قال اذا عرف باطن اعمال اضداد اليقين وظاهرها فجانبها سرًا وجهرًا فبلغ معرفته كان مُوقنا وهو يعلم، فاذا فتن او زل او حاد عن الطريق راجع من قريب فعاود طريق اليقين بالتوبة وَالندم قلت فما بال الموقنين يدينون قال ليعرفهم الله تفضله عليهم واحسانه اليهم عند اساتهم الي انفسهم ، فتجدد عندهم النعم ويستغلوا ويستقبلوا بالشكر فيرقبوا بذلك الي اعلى درجاتهم . واعلم ان للموقن علامةً واضحةً يعرفها وذلك ان الموقن تعظم عنده الذنوب والخطا وَالزلل وان كانت مغفورة له لغفلته عنها وهجوم ابليس عليه فيها وطمعُ النفس فيها هو اعظم منها ، واصغر ذنوب العبد عند الموقن كبيره يظن ان الله عز وجل ماقت عليها وساخط عليه فيها وانه مسلوب بها ما انعم الله عليه من نعمه لعظم خطر صغير العهد عنده فاذا كان

العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم . قلت فمتى يكون الرجل معجباً (8v) وهو يعلم قال هذه مسالة تلحق بجميع المستدرجين مما وصفنا، فالملوك يعجبون بملكهم والتبع يعجبون بحظوتهم ودنوهم من ملكهم والتجار يعجبون بما بسط لهم من الدنيا والعامة يعجبون بما اوتوا من الاموال والاولاد والعلما يعجبون بما بُسط لهم واعطوا من علمهم والقرا يعجبون بما نالوا من نسلهم وسمتهم والعُباد يعجبون بما قووا عليه من عبادتهم فليس من هذه الاصناف صنف الا ومنه العُجب عند تضييع الشكر وليس منهم صنف الا والريا فيه ثابت وليس منهم صنف الا وهو يُحب التعظيم والمحمده عند من هو دُونه ويخرج ذلك كله من التحيّز فهذا فنونُه فاذا ثبت التحيّز في القلب ثبتت فتونه جميعها فالتحيّز اصل يتفرع منه جماع الشر من الغَضب والطمع والعُجب وحب التعظيم والرياسة ومنه السفه والنّزق والطَيش والعجلة والحرص والشرَه والمكر والخديعة والجريرة والغش والخلابة والتكبر والكذب والغيبة والقسوة والغلظة والشحّ والجفاء وقلة الحياء مع جميع فنون الشرّ فاذا ثبت التواضع (9r) في القلب ثبت معه جماع الخير من الرقة والرأفة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضا والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وانفاء الطمع واحمال النفس وسلامة الصدر وبذل المعروف والتشاغل بالنفس والمبادرة بالخير والانتقال عن الشر، كل امرى على قدر ما فيه من التركيب يكون فعله على قدر ذلك وجزاوه على قدر ذلك وان كنت تسأل عن العُجب الذي يلحق باصحاب الاعمال من العُباد فسأخبرك بعظيم فتنتهم وبليّتهم فتوقّها واحذرها واستعن بالله تعالى فانه ليس شي اعجب الى عدو الله تعالي من فتنة العابد لان فتن اهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا فالناس قد عرفوها منهم فمنهم من يحتملها وهو يعلم انه مَفتُون بها، فاما فتنة العابد فاعظمها فتنة واشدها صَرعة لانه قد ترك عماوة الدنيا وجدّ في طلب الاخرة وكابد المفاوز والعقاب وجاهد نفسه على ترك الدنيا بمعرفةٍ واقبل على طلب الاخرة ايثاراً لها بالتصديق وحُسن الاراده غير ان الله تعالي يمتحن هذا الخلق في كل احوالهم في تمسكهم بالدنيا وفي (9v) تركهم لها وفي طلبهم الاخرة وجعل في كلّ نوعٍ من ذلك مَوونةً من الصبر ووعد ابليسَ وعداً فهو منجزه له الي يوم القيامة بان اسكنه وذُريته صُدورَ بني آدم يجرُونَ منهم مَجرى الدمّ فذلك المطيع والعاصي وانبيايه واوليايه

وذلك في حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ما من احـد الّا وله شيطان قال ولا اياك قال ولا اياى الا ان الله اعانني عليه فاسلم فليس للعابد في عبادته ان ينفي الشيطان عن قلبه وان يزعجه عن المسكن الذي مُكن فيه غير انه اذا كان متيقظ القلب يَئسَ فخاس فليس له سبيـل الا مع الغفلة من العباد وَطُبع الخلق جميعاً على الغفلة والتيقظ وَايد العبد بالمعونة لمكايدته فليس احد احوج الى صحة التركيب من هذا العبد الذي قصد قصدَ خلافـه وَقوى على ترك الاسباب التي يصل بها ولد ادم من فنون الشهوات فحذف ذلك اجمع وخلفها خلفه ثم قربَ من العَقَبة التي ان نجا منها وَصل الى الجنة باذن الله فتجرّد له ابليس وعلم انه لم (10r) يبق له الا هذه الدّرجة ان سلم منها نجـا وعَلم انه ان اضله فيها اضل خلقاً كثيرًا فلا يسلم منه الّا باذن الله ان شا الله والّا اعطبه او يستبعده الله تعالي رحمته سعي للعبد ان يُمنح له ويجمَع له قلبه وذهنه ويعدد علمه بما يأتي وما يكثر من عبادته وينفد معرفته بمكايدة عدُوه بمثله ويويد نفسه من عملها لطلب الثواب ويلزمها ايضا لو انها تقطعت في عبادتها انها لم تبلغ درجة العفو العظيم ما جنت نفسه من الاساۃ ولو ان تلك العبادة والاحسان كانت لذنب واحدٍ من جميع ذنوبه لاستاهل ذلك ولو انه يتعرَّض المعفو عنه بمثل جميع احسانه مثل لو يقطع عمر الدنيا عبادةً فورد يوم القيامة الموقف وكان جميع عباده اهل ذلك الموقف في ميزانه ثم ذهب من ذلك ذنب من جميع ذنوبه وشغفوا فيه كان قد اعطى واعطو عظيما، فالي الله نشكوا غفلتنا وقلة معرفتنا بما نحنُ اليه صايرون ولا قوة الا بالله، فكيف يجمع اساته وعظيم ذنوبه مع قلة ما يستقبل اضمارًا لتوبه والمراجعة ثم يحصل نفسه ما استطاع فان عارض ابليس او رفعت نفسه راسها لتذكر احسانها (10v) بما قد عرفه الله تعالي من قديم اساتها وحديث عيوبها فانقمعت وزجر عَدوه عندما اراد من خَديعَتـه ليُوقعه في العُجب وَالباطل فلو كان عجب من حقيقة من احمال نفسه طاعة الله باطراح لها ومقت كان اولي الاشيآ به مع صدق النفس في الطاعة والرجوع الي الشكر فكيف به اذ عرض له بعُجبٍ باطل ليس فيه موونة ولا احتمال فالان حين اعرفك باطل ما قـد عُوضت به وازجرك بعون الله صاغرًا أرددك على عقبيك ناكصاً محسورًا والزمها الذنب والريبه قديمًا وحديثاً وارجع الي الـذي

امكنني من اسرك وعرفني عَداوتك وقواني على خلاف نفسي وعرفني عيوبها بالشكر له معترفاً له بالنعم مقرًّا له بالتقصير مستجيرًا به راغباً اليه في العصمة منك عايذًا من شرك وشر حزبك وخيلك ورجلك ومن شر اتباعك فاذا رقي العبد الي هذه الدرجة واعطى هذه المعرفة فلا يكون له همه ولا بغيه ولا ماله ولا اراده الّا النقله عن ضيق الدنيا وغمها مخافة ان تُعارضه فتنه من فتنها تحول بينه وبين معرفته الي راحة الاخرة وروحها ليامن فيها من نزعات ابليس وخلاف (11r) نفسه. قال بعضهم اخاف ان يهجم علي ما يحول بيني وبين الاسلام وهو من الصفوة التي اختارها الله تعالى لصحبة نبيه في زمانٍ لم تهج فيه الفتن ولم تختلف فيه القلوب خاف مع سابقته وجهاده مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يهجم عليه اقل مما اتت فيه فيحول بينه وبين ما كان يعرف من حلاوة الاسلام فكيف بك بلا سابقةٍ منها الا في الشر ولا حلاوة عرفتها قديماً من الاسلام الا حلاوة المعاصي وانت نازل في دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعاً في الزيادة فهذه خُدعة من النفس يحبّها للبقا لتجنى عليك الذنوب وتزيدك ثقلًا علي ثقلك فهي تطمعك في البقاء للزيادة وهي تتعجل منك النقص فيه ولم تنعم انت عليها حباً للبقآء فخدعتك فيه وانت لا تعلم احوالك. واما ابليس فهو يخوّفك مع تعجيلك حب الخروج من الدنيا ويطمعك في البقآء فتخويفه اياك دفع عن خير تناله بقلبك وطاعةٍ تستوحيها الى قلبك من غير ان يمنعك ذلك من خير تدفعه او شر يدفع عنه الي بلوغ اجلك وليس حبك الموت بالذي ينقص من عمرك يوماً واحدًا ولا ساعةً (11v) واحدةً حتى تستوفي اقصى مدتك منها وتبلغ اقصى عمرك منها، غير انه خوفك شرًّا هو خير فصدّقته وطمعت وكانت عقوبة مثلك ان يحال بينك وبين ذلك الخير الذي به تجتلب فنون الخير فلم تنله ولم تصل اليه وانت تعرف ان ذلك كذلك لا يستطيع بلوغه حتى ينوب مما صدقته في كذبه ما خوفك من الشر الذي هو خير تهجم عليه ان احببت الموت الا ان تستبدل به حسن الظن بالله تعالي، ولو ورد عليك الموت الساعة رضيت وتنصرف عن طمعه اياك الزياده في البقآء الا ان تحب مفارقته الساعة معرفةً منك انه لا يسلم لك معه نوع من الخير تطمع بان لا يعارضك فيه نِفاد فهل سمعت او رايت بعدوٍ يجب ان يلازم عدوه وهو

جاهد في عطبه وهو متيقن انه عدو ويكره مع ذلك مفارقته او هل سمعت او هل رأيت من يدعي انه مسجون يكره ان يراح ويفرج عنه من سجنه لعمري انه من احب مفارقة صاحب يكره فراقه انه لنعم الصاحب وان دعواه له عدو لباطل ولعمري انه احب المقام في سجن وهو يكره الخروج منه (12r) انه لفي غبطةٍ وسرورٍ وان دعواه انه في سجن لباطل وَلكن العقول تتفاضل وتتغاير والتقصير في شكر نعم العقول ظاهر، فاذا كان المطيع غير عالم بما يكره من الطاعة في عبادته ولا عارف بمكايدة عدوه فيستصغر المخلوقين وتكون نفسه عنده انه لا عدل لها في الانفس زكاةً وطيباً ولعلها اخبث الانفس وانتنها رآئحةً واسقطها من عين باريها ، فكل ما مولت له نفسه من عملٍ فاحتملت لصاحبها مع مُساعدته اياها وشدة رضاه عنها مع نحول الجسم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة ما فتئ به التولي واستمالت به المموهين من العقلاء والطالبين درج الطاعات، فامتد لها الذكر فامتنعت فاحتجت وتعظمت وتكبرت فلم يُوصل اليها الا في الحين ولم تبذل نفسها الا للخواص، فاذا وصلت الي هذه المرتبة وحلته الدنيا بصنوف زهرتها لاهلها وطوقت عظيم العبادة استدراجاً وقته، استصغرت اعمال من كان قبلها من الصالحين وطغت عليهم من جهة التقصير وهي عند نفسها ازهد واقوي على ما هي فيه من كثير منهم ، فاتى منه وهو لا يشعر وصرعه (12v) عدوه من حيث لا يعلم فيا ويحها من نفسٍ ما اشأمها واعطبها لمن لا يعرفها انه ليخيل الي انه لا يسلم منها من يعرفها فكيف من لا يعرفها وصاحب هذه الصفة التي وصفنا انه اتى من قلة معرفته بها فحاد عن طريق الشكر فليس العجب ممن لم يؤت معرفتها كيف يُركب ولكن العجب ممن لم يؤت معرفتها كيف يسلم .

باب الصمت ومخالفة الهوى وغير ذلك

قال بعض الحكماء انى اعُدّ كلامي فيما لا بُدّ لي منه مُصيبةً واقعةً استعين بالله علي السلامة منها واني لاعد صمتي عما لا يعنيني غنماً وحادث نعمه التمس الشكر عليها اذ علمت ان من ورآء كل كلمةٍ رقيباً عتيدًا فأنزل ما اضطررت اليه من القول مصيبةً نازلةً وان ما كفيت من الكلام غنيمة

باردةً . واعلم انك في زمان غلبة الهوي فيه على الاحمر والاسود على الجاهل والعالم بامور الدنيا والاخرة فلتعرفن نفسك منك انك لا تثبت لها عملًا بساعديك علي احتمال المؤونة فيه الا وهواها فيه سابق واعرفها انها ما احتملت لك من علم بعملٍ في طاعةٍ او بصيرة بعيوب عملٍ في طاعةٍ ان ذلك احتمال (13r) فسادٍ ومها تقدمت فيه من طريق هداها ان ذلك مردود عليها فاذا عرفت ذلك منك ييست من ان تُثبتَ لها خيرًا ومها احتملته لك فالزمها اياه وسل الله العون عليها في اصلاح فساد اعمالها وليصح عندك انها لا تساعدك علي طلب معرفة عيوبها الّا وقد احتضنت من وراء ذلك داء هو اضرّ عليك من عُيوب عملها فاذا عملت عملًا احتملتُ مؤونةً فارجع الي الله تعالى بالشكر لتسخيرها لاحتمال ما كنت تَستثقل منها واستغفر الله لها من سقم نيّتها في ذلك العمل وان ظهر لك منها بكاء من خوف تدّعيه فَأَتبع بكأها بكاء معرفةً منك بقلة صِدقها في بُكآيها فان ظهر تلك منها حُزن عند ذكر الاخرة فاتبع حُزنها حزنا معرفةً منك بعظيم كذبها في حزنها وليكن ذلك بكا توجع القلب لعظيم مُصيبتك في كَذبها مصيبة نازلةً بك في احوالها فانك عَسَيت ان صح لك من عملك شي او قُبل منك شي ان يقبل منك استغفارك لها من سقم نيتها في عملها وبكاء معرفتك بعلة صدقها في بكايها وحزن معرفتك بعظيم كذبها في حزنها فاعلم اني انما طمعت لك في قبول (13v) ذلك لانك عرفت الحق علي نفسك لِله تعالي فاقررت له على نفسك بالحق فكان لك في الحق حظ وَنصيب وقد قيل افضلهم يوميذٍ من عرف الحق في ذلك الزمان فاقر به، وَقيل عارف الحق كقايله وقد يأتي على الناس زمان المقر فيهم يوميذٍ بالحق ناج، وانك لما تَبيَّنت اعمالها وبُكايها وحزنها ومعرفتها في مواطن الصبر على ما تصبر عليه الوالدان يظل ذلك كله فيعودُ جهلًا وعلمت الذي ظهر منها من يحتملها وبكآئها وحزنها كان منها علي غير اصل من الصّدق اذ كانت اللحظة والكلمة والشي اليسير يهدر ما اظهرت وتلحقه فشكرت الله على معرفتك بالحق واقرارك به على نفسك لله وسالته العون عليها وعلي عدوك لحسن مُوأزرته اياك فانه شاكر، وهب لك المعرفة ثم قبل منك اقرارك بما عرفك من الحق شكرا يثيبك عليه في العاجل نورًا لحكمةٍ في قلبك وجزيل الثواب في الأُخرى انه شكور

حليم . وبالحري ايضاً ان ينفي عن قلبك العجب بثبات خوف البلوي في نعمك كما ابتلى صاحب العمامه وكما ابتلي صديق بني اسرائيل والذي قال لا (14r) يغفر الله لك وهو ايضاً من طريق الاستدراج فيما اظن لاهل الدين ولعله يبتلي بالهوان فتجد ذلك في نفسك وتري انه صنع بك ما لم تكن اهله ولعلك تبلي الاخبار بالكرامة من الناس فَقبله قلبك وتري في نفسك انه صنع بك ما كنت لذلك اهلاً ولان تكون نفسك عندك انها في مثل حالها العَذاب اولي بها . ثم يقول وان شا غفر لي فانه واسعُ المغفرة اولي بها ثم يقول وان ساعدتني بعض ذنوبي فنسألُ الله الهنا ومولانا ان يهدينا واياكم بالمعرفة الى مَعرفتهـا وَالعزم على خِلَافها والعصمة من عدوها وَالتوبة من ذنوبها وان يُدخلنا واياكم في سَعة عفوه وطاعته ولا يكلنا واياكم اليها ولا الي احدٍ سواه وان يستنقذنا واياكم من عاجل فتن الدنيا واجل جميع اهوال الاخره حتى يوصلنا واياكم بمنه وفضله الى رحمته انه فعـال لما يريد وهو القريب المجيب .

باب علامة المرائي

قلت فمتى يكون مرائياً وهو لا يعلم، قال ان العبد لم يزل منذ هو ناشٍ الي ان بلغ اشدّه طالباً للدنيا والاثرة لها في اعمال (14v) الريا المحض ملوكها وسوقها وعُقَلاوها وجهالها يتعاملون بالريا لا يمتنعون من ذلك . الملوك تعامل الملوك بالريا وتظهر بعضهم لبعض الاجلال وهو في الباطن يعمل على ان يجمع ملكه الي ملكِ نفسه والاتباع يظهر بعضهم للملوك الخضوع والاستكانَة ويود السايس منهم انه يقدر على ان يصير هو الملك والملك هو السآيس وَكذلك العامـة وكذلك التجار على هذا المعنى فكذلك الصُناع فجميع اعمال طالبي الدنيا لا تتم الّا بالريا فاذا ارعوي احدهم والريا فيه طباع فَياتي يطلب الـذين بتلك الطباع فاذا ارتفع الي العبادة وتعبّد وذلك طباع فيه لا نعرفه من نفسه لغلبته عليه ومنشاه وفيه ويعرفه من نور الله الحكمة في قلوبهم فهم يرون فعله فعل اهل الريا فمنهم من يمسك علي معرفته بصاحبه وانه لو ابدي له عيوبه نفر منها وذب عن نفسه او ابطل ما ينسبه اليه فصار عدواً مشاحناً . وقال يحسدني على ما اتاني الله من فضله من القوة علي ديني او مُتقَوِّل متعسف مبتدع يطعن على

اهل الخير مما لم يحبه العلماء. فلما عرف (15r) الحكيم اهل زمانه وان زمانه
زمان غلبة الهوي واعجاب كل ذي رأي برايه اعتزل نفسه ونفر عن العامة
بالمخالطة والصحبة وعرف ان في زمان المعروف فيه منكر والشرّ فيه قد احاط
بالخير فزاول نفسه ليقبضها فنكلت وانكرت وابت الا لزُوم طباعها الكيانيّ
ففكر الاديب وَقال واعجباه ممن لا تُجيبه نفسه الي الاستقامة بما قد عرفت،
يريد ان يحمل سواه على ما قد جَهلت فوضح له الامر وَقصد قصد نفسه ياساً
من قبول احدٍ منه بعد ردّ نفسه عليه مع المعرفة بالحق الذي لا ينكره والعلم
الذي لا يدفعه وعجز العامل عن مجاهدتها وردها عن طباعها الا مكرهةً
مغلوبةً فشغل بنفسه عمن سواه الّا طالباً ملحاً او مجاملًا مُريداً وليس كل
العباد اوتوا معرفة عيوبِ النفس لانه امر خاطِر،فمن تنبَّه لذلك فقد نُبِّه لعظيم
من غير ان يعرف عيوب نفسه فكيف به لو عرف منها شيًا ثم وهب له بعده
معرفة سروره بالمعرفة ثم وهب له من بعد سروره بالمعرفة حب حلاوة المعرفة ثم
وهب له (15v) من بعد حب وجود المعرفة العمل بما جآت به المعرفة من اصلاح
عيوب النفس ما كان النفس يحسب به علي العبد حسنات فلما خلا عن قلب
العبد رآها سيات فدأب في اصلاحها فاضطربت عليه عندما كشف الله للعبد
عن غطآ عيوبها واخفاء زينتها فان اتى هذا العبد من طريق تقعد به عن الزيادة
في الاعمال فانما يوتى من استصغاره عظيماً. فيعمل على الشكّ في فضيلة ما اوتي
فيفتيه حينئذٍ على قدر يقينه بالاخره وفِضيلتها فيقدر ضعف يقينه وتردّده في نفسه
بالاخره كذلك يكون تردده في هذا الانَ هذا فضيلة من فضايل الاخره اوتيها
فان كان ثابت اليقين بالاخره كان ثابت اليقين بما اوتي من اسبابها فليمتحن
العاقل ان وجد عاقلًا بيقينه هذا فان كان مستثبته اليقين بما اوتيت من نعم
الله تعالي محققةً لا يلها عن ذلك مثل اهل الدنيا جميعاً عما امتن به عليها وجعل لها
اهلًا وان شك الخلايق فيها فليعلم ان اثبات اليقين فيها على قدر ذلك وان
تردد مع المترددين ومال مع المايلين (16r) عنها كان يقينه بالاخره على قدر ذلك
فاذا اقبلت النعمة من الله علي عبده بمعرفته عيوب نفسه فاول ما يبدا به الانتقال
عن طباعه الريا ويعلم ان طباعه التي لم تزل فيه،وعليها نشا طباع ريبةٍ وكذبٍ
فجد في الانتقال عنه ولا يكون له همه غير قصد نفسه لانها مطبوعة علي

الكذب والكذب والصدق لا يتقاربان ولا يسكنان في وعاء واحدٍ الا ان يغلب احدهما علي الاخره فينفي ضده فاذا عرف العبد ريب النفس فعرفها وكان طالباً للصدق فاولي الاشياء به ان ينفى فنون الكذب عن قلبه بالجدّ والحرص وهو الشُكر من العبد لحق هذه النعمة فاذا قصد قصدها بالبغضة لها نفرت عنه دواعي الكذب وَفنونه وانماكان الفه ذلك من العَبد لهاوجفتها علي قلبه فلما اظهر البغضة والاستثقال نفرت عنه غير بينةٍ منه لطول صحتها ونشبت النفس بها لقربها من طباعها وشهرتها والعبد حريص علي التقى والنفس حريصة على الاستبقا طامعة في هلاك صاحبها من طول علاجه ليقيها من ارتجاع النفس (16v) اياها فلما تيقن الصدق من العبد والجدّ في انفآء الكذب وفنونه فشوقت للعبد حلاوة قبوله فازداد العبد الي الصدق شوقاً وازداد الى الكذب مَقتاً . وانما كان نفاد الصدق وَفنونه من قلب العبد لغلبة الكذب وفنونـه عليه فيتبين العبد بتشوق الصدق اليه ، ولما ثبت فيه ومنه اعمال الكذب فلم يفارقها بعـد وازداد حرصاً الي حرصه طمعاً في اقامة الصِدق فيه وانفاء الكذب عنه فالريا من اعمـال الكذب والعجب من اعمال الكذب وحب الرياسة والمحمدة والتعظيم والتجبّر من اعمال الكذب فمن دَأبَ في نفي الكذب برى من الريا ومن العُجب ومن جميع دواعي الحسد والشر واذا خلا من ذلك ثبت فيه الصدق بفنونه فان احببت ان تجعل الصدق في هذا الموضع هو اليقين بالاخرة وتصديقك بجميع ما فيهـا وصدقك في جميع اعمالهـا فعلت ويصير الكذب الشك والتكذيب بالاخرة فتكون جميع اعمالك الظاهرة مثل دعواك الظاهرة فتكون اعمالًا كاذبةً وجميع تفسير ما ورد تفسيره واجل في هذا الباب من طريق الصدق والكذب فان عرفت هذاالباب عرفت جميع الرتب وان (17r) قويت علي العمل به قويت علىدفع جميع ما يقال من اعمال الكذب والمعونة من الله تعالي والعبد محمود على نعمة الاحسان والعون عليها من الله ومذموم علي الاساة ، والعاصم منها الله فالله مشكور علي جميع احوال بنيادم لانهان احسن منهم محسنفنعمة الاحسان واقعة عليه ملتمسة منه الشكر وان امتنع عن الاساة فنعمه العصمة واقعة عليه ملتمسه منه الشكر وان تمادي في الاساة فنعمة التوبة واقعة عليه اذ كانت له مبسوطةً غير ماخوذ عند اساتهفمقطوع زايده والتوبة ملتمسة منه الشكر وهي اعظمها نعمةً . قلت فمتى

يعلم انه يعلم قال اذا زيد في علمه فازداد به وجعاً علم انه يعلم لقوله من يزدد علما يزدد وجعاً فسمي ما يزداد به وجعاً علماً ، فلما وصل الي القلب وجع العلم علمت انك قد علمتَ . قلت فمتى يعلم انه لا يعلم قال اذا كثر نِفاقه وكثر كلامه في فنون من العلم وانتشرت كتبه وازداد قلبه على ذلك غلظاً وقسوةً حتى يعرفها هُو من نفسه فقد علم انه لا يعلم وان كثر ذلك منه . قلت فمتى ينتفع بعلمه قال اذا كان (17v) مُطيعاً لعلمه متبعا دلالته ، قلت فمتى ينفعُه علمه قال غدا اذا كان علي ما وَصفنا ورجح به ميزانه انتفع بعلمه قلت وهل ينتفع بالعلم سِواه قال اذا كان هو عاملا يعلم نفسه وعَلّم سواه نفعه تعليم غيره . قلت فمتى ينفع غيره علمه قال اذا كان هو عاملا فافاد علمه سواه فعمل به فحينئذٍ ينفعه عمل غيره. قلت فمتى يضر غيره علمه قال اذا ضيع هو شكر الله في علمه فعمل بخلاف علمه فياسوا به في عمله وخالفوا ما استَفادُوا منه فكما ضيّع العالم علمه ضر غيره ِ علمه. قلت فمتى يضره علم غيره قال اذا كان هذا المستفيد ممن يُضيع العمل بعلمه فتاسّى به غيره كان قد ضره علم غيره . قلت وكيف يضره علم غيره والعلم نافع لكل من استفاده قال الا تعلم انك تاسيت بعلمه من اجل ما ظهر لك من علمه ولو كان جاهلاً ما تاسيت بعلمه الا تري انه ضرك علمه . فان قال فهل ينتفع بالمعرفة اذا كان مقصرا في العمل قال لمسالتك جوابان قال لان التقصير في العمل والمضيع للعمل لا يعني انه لم يبلغ الشك على قدر النعمة وهو يعمل بالدلالة غير ان عمله قليل (18r) والتضييع للعمل ما كان منه من عملٍ وان كثر فهو ضايع لانه خلاف دلالة النعمة فذلك وان كثرت من صاحبه الاعمال فهي خفيفة الوزن لا وزن لها، غير ان المعرفة نعمة اقبلت لاجتلاب الخير الي من اقبلت اليه مع قيام من اقبلت اليه بالشكر اذا تادي في الشر مع تضييع من اقبلت اليه بالشكر، فليس احد قوي الا من طريق الشكر ولا ضعيف الا من تضييعه لان النعم سابقة من الله تعالى الى خلقه لان الله عز ذكره اوجب على نفسه لخلقه جميعاً الابتداء بالنعمة وهو اولي بالاحسان الي بريته وَفرض عِليها الشكر فرضاً ثم اوجب لهم عليه الزيادة منه امتناناً واوجب العقوبة علي مَن ضيع منهم شكره امتحانا فصفح عمن شا وعاقب من شا .

باب التمييز بين الخوف والرجا

قال وينبغي للعبد ان يكون اول شي ياخذ به لدينه بعد اقراره لله عز وجل بالوحدانية وانه خالقه ورازقه العلم بما امر به ومعرفته بما نهاه عنه فاذا علم ما يحتاج اليه من العلم عرف ان قوام ما علم الصدق وهو الايمان به فاذا نظر في الذي امر به عرف ان قوام ايمانه اليقين فاذا (18v) ايقن بما آمن به وعرف ان تمام ايقانه الرجا والخوف فاذا نظر في رجايه وخوفه علم ان الرجا لا يتم الا بالرغبة والخوف لا يتم الا بالرهبة فاذا هو فكر في الرجا علم ان الرجا لا يكون الا بالقلب وكذلك الخوف لا يكون خوفاً الا بالهرب فان قال قايل فكيف يكون حال الراغب الطالب قال ينبغي ان يكون مسروراً شاكراً والراهب الهارب يكون مهموماً محزوناً عندنا قلت لِمَ قال لان الراغب الطالب يرجوا الثواب ولان الراهب الهارب يخاف العقاب قلت فباي شي ينال ما وصفت قال لا ينال ما وصفته الا بالصبر قلت فما خير اداّه الصبر قال الزهد والزاهد في الدنيا في حصن حصين شامخ قد جمع له الزهد خير الدنيا مع رجايه خيراً لاخره قلت فما قوام ذلك كله والذي انعقد له عُراها واليه مصيرها وماواها وبه جزاوها قال العقل قلت لِمَ قال لان الله لم يخلق خلقاً هو احب اليه من العقل قلت فالعقل الذي اعطاه بني ادم اي شي هو قال العقل عقلان عقل الدين وعقل الدنيا قلت بيّن لي عقل الدنيا قال ما وصفت لك (19r) قلت فعقل الدنيا قال الصناعات كلها والحيلة منها قلت فعقل الدين قال فيه مالك وما عليك والثواب الذي لك منه والعقاب على ما عليك منه فاعرف ما ذكرت تاخذ بحظك ان

شا الله تعالى . واعلم انك مطبوع طبـاعاً حسنةً وسيئةً فاعدا عدوك سيّيات
طبايعك واولي اوليايك حسناتها فقابل بعض ما قابلك منها ببعض واعلم انك
قد بليت من معالجة طبايعك ومكابدة اهوايك ومجاهدة نفسك بحرب لا حرب
انفع لك منها فان رزقت الظفر منها والا اضرمت عليك الهزيمة منها ولا حرب الا
سيحتاج صاحبها الى المادة فاستمد لحلمك من حلم الحلما ولعلمك من علم العلمـا
ولعقلك من عقولهم فان العقل الفرد لا يقوى علي امر العامة ولا يكتفا به في
امر الخاصة واعلم ان راس ما يصلحك ويصلح به على يديك الزهد في الدنيا
وانما الزهد باليقين واليقين بالعبر والعبر بالفكر فاذا انت تفكرت في الدنيا لم
تجدها اهلاً ان تبيع بها دينك ونفسك ووجدت نفسك اهلاً ان تكرمها بهوان
الدنيا فان الدنيا ذميمةُ الله تعالى وذميمة المرسلين وهي دار بلاء ومنزل قلعةٍ
(19v) فاحذرها اشد الحذر . اياك والشهوات وليكن ما تستعين به علي تركها
علمك بانها مُولهة لعقلك مشغله لقلبك مهجنة لرايك مشاغلة لك عن معاظن امورك
شديدة التبعة عليك في اخرتك فانما الشهوات لعب فاذا حضر اللعب غاب الجد
ولا تقوم الدنيا ويصلح الدين الا بالجد فلا تلقاه وان كان نال منها الا مستشعراً
خوفاً زايلاً منهـا فان نازعتك نفسك الي اللهو واللذات فاعلم انها نزعت
بك الي شر منتزع وارادت بك افضح الفضوح فغالبها مغالبة ذلك وامتنع
منها امتناع ذلك ولا تداهن هواك في اليسير فتطمع نفسك منك بالكثير فان
لكل عملٍ ضراوةً ومتى عودت نفسك القليل دعتك الي الكثير واعلم ان
اسعد الناس ادركهم لهواه ان كان هواه في رشدٍ فقد سعد وان كان هواه في
غير رشدٍ فقد شقى بما ادرك منه وقد يمنع الحليم من استكمال لذة الشهوات
خوفه اياها ووجله منها فلا تلقاه وان كان نال منها الّا مستشعرًا خوفاً زايلاً
منها الي الندم ومخافة الندم منها وهذه صفة الزاهدين فاعقلها ان اولياء الله
ان اقبلت اليهم الدنيا لم يكبروها وان ادبرت عنهم لم يذكروها يراهم الناس
وليسو منهم تحسبهم منهم وليسو (20r) منهم ليست لهم ديار يعمُرونها يطمئنون
اليها انما ديارهم وقصورهم وعشايرهم امامهم قد اخذت الدنيا بانفاسهم فلولا
ما يستريحون اليه من مناجاة سيدهم لقاسوا من معاشرة الدنيا واهلها طُوال
العناء فهم طُلَقا رَبهم من غُموم الدُنيا وعتقاؤه من همومها اطيب بحياتهم من

حياةٍ واحسن بمقامهم من مقام فهم الذين قاتلوا نفوسهم وجاهدوها عما تميل بهم اليه من راحة الدنيا ونعيمها حتى رفضوها ليسو بمشتغلين بالاملاك المُعتقـدة ولا باصحاب القصور المشيدَة ولا الانهار المطردة الذين عكفوا علي حب الدنيا وحطامها يعتدون ببعضها ويطعمون بعضها علاجاً بعد علاج لا يسأمون من جمعها ولا تنقضي امانيهم من شهواتها يبيت اخو عشقها متمنيا للذاتها والوانها فلا يزال اخو الحساب مَخدوعاً مُعللا حتى حضرت منيته فكثرت حينئذٍ ندامته وحسرته وذلك هو الخُسران المبين. طوبى لقلبٍ صبر وتوكل علي ربه ولم يتذكر الراحة جزعاً طوبى لقلبٍ تقي فرغ قلبه من ذكر الشهوات فاتقا الشهوة علي طلب الهدي ليس (20v) كل من يُبتلا يهلك ولكن من لا يصبر للبلا يهلك فلا تعجب من البلاء الشديد ولكن العجب من الصبر كيف يحمله العبد، العلم دليل على الاعمال والعقول معاذن للراي فاذا تكامل ذلك في العبد نتجت الحكمة في القلوب فتفرغت علي الالسن، فالعلم مفزع للعاملين وذوي العقول مفزع لذوي المساواة في المضار والمنافع وذوو المعرفة مفزع عند اشتباه الامور فجالس يا اخي العلما وشاور العقلا وافزع الي ذوي المعرفة عند الغفلات من الامور وساصف إلك وصف العلماء. وذوي الالباب من العُقلا وذوي البصاير من اهل المعرفة. فاما من خاف الله في سريرته اعظم من خوفه في علانيته وظهرت خشيته عليه في قوله وَفعله فذلك العالم حقا وبذلك وصفهم الله عزّ ذكره فاذا لقيتهم فحط عند رحالهم واخفض لفضيلة علمهم جناحك فاما العقلا فمتى عقل عن الله تعالى مواعظه وعرف ما يضره مما ينفعه فاتبع دلالات عقله لما ينفعه واجتنب ما خالفه وكان التذكر شعاره فذلك هو العَامل فاذا لقيتهم فاسكن اليهم قلبك وشاورهم في امورك واصدر عن رايهم واما ذوُو المعرفة فان تراهُ قريباً بعيداً اصم سميعاً صموتا نطوقا سهلاً كزا سمحاً شحيحاً (21r) شجاعاً جباناً ابله فطناً عالماً جاهلاً معتزماً صابراً ضحوكاً باكياً باسماً عبوساً مختلطاً مستوحشاً الوفا نافراً حذراً خايفاً راجياً احمق عاقلاً ممتنعاً موجوداً معروفاً خاملاً مهموماً مسروراً راغباً زاهداً صادقاً كاذباً خايفاً امناً موقتاً مكذباً راضياً ساخطاً عزيزاً ذليلاً متواضعاً متعظماً نايماً يقظان سلس للقياد صعب المرام حُلواً مُراً أنسُه الوحدة وفرَحه الحزن وسروره الهم وضَحكه البكا وكلامه الصمتُ وقوله الفعل وجوابه الاسترجاع وموعظته

آدابه وفعاله ؟ ان رايته خلته مُختلطاً وان كلمته خلته ابله وان اختبرته خلته ملكاً متوّجاً عظيماً لا يخلط هزلًا بجدّ ولا يوثر دنياه على آخرته مشغول عن الخلايق بانشغاله بنفسه فالناس منه في راحةٍ ونفسه منه في تعبٍ وقال قايل لا تفرح بكثرة العمل مع قلة الحزن فان قلة حزن الاخرة الدايم في القلب ينفي كل سرور الدنيا فيه وقليل فَرح وسرور فيه يداومه ينفي جميع حزن الاخره والفرح لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب فهي ميتة (21v) والحزن يستبطيه المتيقظ من خالص عين النفس وعلامة ثبات اليقين في قلب العبد استدامة الحزن فيه ولا شي. ابلغ في الزهد من ثبات حزن الاخرة في العبد وعلامة ثبات الحزن في القلب اُنسُه بالوَحدة والحزن يهيج بالتيقظ والسرور نتيجة الغفلة وعدم ان يوجد مسرورًا محزونًا من اهل زمانك وقد كان يمكن ذلك في الصادقين وقد يمكن العبد ان يكون محزوناً ملتمساً بتحزن حلال الدنيا وجماع الطاعات يوجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الي ان يصل الي القلب السبب منه ويوجه فان قيل ولم قدمت بين يدي النفس شياً من الطاعات واليقين معدن به يُستنبط جماع الطاعات ومنه يتفرع البر قال لان اليقين لا يثبت في القلب الا بسببه ولان الله عز وجل لم يخلق شياً يدرك بغير سبب فعلمنا ان اليقين لا يثبت في القلب الا بسببه لانا وجدنا الاشيا بعضها مُصلح وبعضها مفسد والقلب لا يخلوا من التيقظ والغفلة والغفلة اسبقها في القلب والتيقظ اعز من الغفلة اذ كانت الغفلة معترضةً سابقةً الي القلوب والتيقظ مفقودٌ (22r) مطلوب غير موجودٍ ثم استثنا امر الاخره بما يثبت في القلب فاذًا هي لا توجد الا باليقين بها ثم نظرنا هل لليقين من ضدّ يرفعه فاذا هو الشك فيها والشك اسبقها الي القلوب واوجد لان اليقين اعز مطلباً واقل وجودًا فاستخرجنا جماع امور الاخرة من اليقين بها وما فيها ثم اضطرتنا المعرفة الي معرفة السبب الذي به يوجد اليقين اذ كانت الاشياء لا تدرك الّا بأسبابها فاسبق الاشيا الى القلوب الغفلة فالتمسنا بالغفلة وجود اليقين فاستحال ودلنا علي الشك في الاخره فاوقعنا ضده وهو التيقظ على اليقين فاستنبطه واظهره واثبته والحقنا اليقين به وعلمنا انه سببه فالّفنا بينهما فاقترنا وامتزجا واتفقا وبقي ضد التيقظ وهو الغفلة وضد اليقين وهو الشك فالّفنا بينهما فاقترنا وامتزجا فصحّ عندنا ان مَخرج الشك من الغفلة وان جماع الشر

داخل فيه وثبت . فبالغفلة عُبد الشيطان وبالتيقظ عُبد الرحمن .

فصل اما بعد فان تقوي الله من خير ما تحاض عليه الابرار وتواصل به الاخيار فخذ بنصيبك من التقوي فانه من (22v) احسن الحسنى وخير الاخوان من كان عليه من الاعوان اوليك الذين بالحق يأمرون وعليه يتعاونون قصدو الي الله بقلوبهم ووجهوا اليه اعمالهم ونصحوا لعباد الله في دينهم فلم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتا الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار فاحيا الله بالتقوى قلوبهم ونوّر بالهدي ابصارهم نظروا الي الدنيا فابصروها وتبيّنوها فعَرفوها فاذا هي وما فيها عواري تجري بها المجاري الى حَالاتٍ مختلفات وطبقات متبدلات فلم يقسمو منها علي باطلها ولا امسكو منها بزايلها ولا اغتروا بالغُرور ولا ركنوا فيها الي السرور وَما اعتدو منها بالفاني ولا عدلو الا الي الباقي فتركوها قبل ان تتركهم ورَفضوها قبل ان ترفضهم وسمُعوا صوت المنادى يقول سارعوا الى مغفرة من رَبكم وجنته عرضها السماوات والارض اعدت للمتقين فما عاجوا ولا انتظرو واستبطؤوا انفسهم فشمرو قصدوا الي الله ايماناً ووفآء بعهده وايقاناً كما قال عز وجل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضا نحبه ومنهم من ينتظر وَما بدلوا تبديلًا احتملوا (23r) في الدنيا المصايب لما يرجون في الاخرة من الرّغايب واستوفت عندهم الحالات اذ كن كلهن زايلات فلم يجدو الم البلاء ولم يحسوا بضيض الاذي واستضيعوو عند تحقيق المعرفة بالله كل ما نالهم في الله تعالى طيبةً بذلك نفوسهم حَدِيةً عليه قلوبهم صحيحةً لله نياتهم سليمة لاوليآ الله تعالى صُدورهم مصدقين بقول الله قد طمحت في الاخرة اعينهم وعزفت عن الدنيا انفسهم فما نظرو اليها نظرة واغبٍ ولا تزودو منها الا كزاد الراكب خافوِ الهلاك فاسرعوا ورَجوا النجاة فازمَعُوا سيرًا الي الله عز وجل غير مقصرين ولا عن العمل له بغافلين بذلو مهج انفسهم في التماسِ الرضا من ربهم ومَا راو انهم بلغوا عن عملهم لعظمة خالقهم معشار ما استوجب عليهم من عبادتهم ولا ما استحق في نعمته عليهم وراو ان ذلك من عطيته اياهم ومنته عليهم وكان عند انفسهم اولى باحسانهم منهم وكذلك عز وجل هو اولي بحساب عباده فطوبى لهم وحسن مثابٍ صحبوا الدُنيا بالاستجاب وتنعموا فيها بطول الاحزان نصبوا الاخرة بين اعينهم وجعلو كتاب ربهم اليها صراطهم

فثبّتوا عليه اقدامهم واصغوا اليه (23v) اذانهم واستوعوه قلوبهم وتيقظو به في نومهم فاستنارت له قلوبهم وانارت به ابصارهم وحسن عند تلاوته اعمالهم فكان الي الخير داعياً واوليك الذين هداهم الله واوليك هم اولوا الالبابِ .

باب الصدق والارادة وثقل الصدق

قال ارح ما ثقل عليك من برك وعملك وَخف ما خفّ عليك من حسناتك فان الصدق ثقل خفيف العمل والكذب من النية الى العمل يخفف ثقيل العمل. قليل الصدق اكثر من كثير من الكذب واعلم ان ارادتك للعمل عمل فانظر في ارادتك وابصر ارادتك كما تبصر عملك وليرك الله وانت على نيتك دايماً طالباً لها كما يرى الله ارادتك لعملك وطلبك لعملك فان يكن هذا من شانك يظفر بنيتك قبل عملك باجر اكثر من اجر عملك ، واعلم ان عدوك اعلم بما بدا منك واعلم بداء ما اخفيت منك واعلم بدا صحتك منك واعلم ان بدآ (×) منك واعلم بدآ خجل منك واعلم ان بدآء كل برك منك وهو يخفى عنك من دآء برك وسقم نيتك في برك وما يخفا على غيرك منك وهو يستر منك عنك من سُقم نيتك ما تستر انت (24r) على غيرك وهو يستر منك ما تستر انت من عيب مثالك فهو يُرَغبك في الحسنات التي قد اخفى عنك ما فيها من السُقم فهو لا يثقل تلك الحسنات عليك ولا يُكرهها اليك ولا يقبحها عندك ولا يقبحها عند الناس منك وودّ ان الناس كلهم صدّقوك في نيّتك اذ اظهر هو سقم نيتك في حسناتك وودّ ان يصحح للناس عملك اذا كان ذلك منهم يزيدك قوةً ونشاطاً في حسنتك التي قد سقمت فيها نيتك فهو يحسن عندهم امرك وتعظم عندهم منزلتك لتداوم على عملك وذلك البرّ وليس هَمه ولا ارادته ولا محبته ان يعلم ما يعلم هو من سقم نيتك انما همه ان تجهل انت من سقم نيتك في حسناتك فالحسنة التي تجهل فيها سقم نيتك وارادتك ويجهلها الناس هي احب الحسنات اليه منك ليس همه ان يعلم من دآ عمل الحسنات ومن دآ ترك السيئات ومن دآ الترك للحسنات فان من دا تركهـا ان تدعها صحافة ان يقال قد رايا لعملها فتدعها فيصير دآء ومن دآ ترك الدنيا ومن دآء اخذ الدنيا مما يعلم هو من ذلك ولا ان يهمه ان يعلم الناس منك علما من دآء سقم نيتك في ذلك ،

احب السقم اليه الذي تجهله وابغض (24v) السقم اليـه الذي تعلمه ويقطن له من نفسك فخف علي حسناتك مما يعلم من ذلك وخف على ما قصر عنه علمك ووَدّ عدوك ان اذخل عليك سُرور الدنيا وملك الدنيا وتعظيم اهل الدنيا بالريا وبالخطايا لانه مَثَل ونظر وفكّر بين ربحه منك وربحك الدنيا كلها لسُقم نيتك في حسناتك فاذا هو قد ربح منك اكثر من ربحك الدنيا واخذ منك اكثر مما اعطاك واذا انت قد اعطيته كبيرًا كثيرًا باقيـا واعطاك قليلًا صغيرًا فانيًا وانت منه ايضا على غير يقين من الظفر به فانت قد اعطيته اليقين وصدك عَن اليقين بالشك والُمنى في الريا فهو يخفى عليك ومنك من سقم نيتك في عُزلتك ويخفى على غيرك منك من سقم نيتك في عزلتك ويخفي عليك من سقم نيتك في مخالطتك ما يخفى على الناس منك من سقم نيتك حيلته في سترك من الناس سقم نيتك انت تريد ان يصحح عند الناس امرك وهو يريد ان يصحح نفسك عند نفسك ، اسر الحسنات اليه منك كل حسنة عميت عن سقم نيتك فيهـا وعمى الناس عن سقم نيتك فيها وهو اعلم بدآ الخشونة في الملبس والمطعم منك وهو اعلم بدآ الحزن ودآ التحازن (25r) منك حيلتُك في سترك من الناس سقم نيتك منك حيلته في ستره منك سقم نيتك ما اسرّ اليه الحسنات التي تصيبها الدنيا او يقال الدنيا هي اسر اليه من الحسنات التي قد سقمت فيها النيات لانه يريد ان يفسدها عليك بعد صدق النية فيها بالقال او بالمـال او بتعظم الناس فربما افسَدها اولًا سُقم النيّة فيها وربما افسدها بتعظم الناس له بها او بالمـال يجلبه عليه بحسناته فيثابر على تلك الحسنات للمال الذي اكتسبه في جنب حسناته من حجة او عروة او غير ذلك من برّك فما اشد حرصه علي هاتين الحسنتين علي حسناتك التي قد سقمت فيها نيتك وافرحه بحسنتك التي قد لبست بها المال لان ما قد افدت من المال يزيد في رغبتك رغبةً لم تكن وفي نشاطك نشاطاً لم يكن وقوة لم تكن كل ما زاد بك الدنيا زدت انت في الجدّ ولو انقصت من اصَابتك نقصت انت من حرصك وذهبت حلاوة نيتك وثقل عليك خفيف سفرك وطال عليك قصير غيبتك وحتي يتمنى ان لم تكن سافرت ذلك السفر ولا خرجت في تلك الخَرجة فاحذر ما قد علمته من مكيدته واحذر مـا لا تعلم (25v) من مكايده وما لا تعلم اكثر مما قد علمت وما خفي عليك اكثر

مما قد بدا لك وما ستر اكثر مما اظهر انما همته منك كل مكيدة يجهلها ليس همه منك كل مكيدة تعلمها واعلم ان اصح ما تكون عندك نفسك اسقم ما يكون سقمها من صحتها وصحتها من سقمها انك ان ادخلتها في الصحة اخرجها من الصحة وان ادخلتها في السقم ادخلها لانه يعلم ما لا تعلم انت من نفسك اعني عدوك واعلم انــه ليس يستوي علمك بنفسك وعلم الله تعالي بنفسك وابليس اعلم بك منك بنفسك والله اعلم بك منك ومنــه ولا يستوي علم ابليس وعلم الله تعالى بك فعلم الله ابطش بك من علمك وعلم ابليس والذي عملت له اعلم بعلمك منك بعلمك فلا تامن من هو اعلم بعلمك منك بعلمك ان المصح عند نفسه آمن والامن على العمل انه صحيح من افة العمل والامن علي السيئات اضر من السيات والامن على الحسنات اضر بالحسنات من السيئات على الحسنات، آمن حسنةٍ الي عدوك من سيئةٍ بعد حسنةٍ وقنوط بعد حسنة احب اليه من سيئةٍ واستصغار صغيرةٍ مع تركها احب اليه (26r) من صغيرةٍ اخرى تعمل بها واحب اليه من كبيرةٍ تعمل بها انت مُتعظم لها ومستصغر منها وترك الصغيرة على ما وصفت احب اليه من العمل بالكبيرة يتلوها الاستغفار انه يعين السنة الناس ان تنطق بمدح الصادق وليفسد عليه صدقه ويزيد في الصادق قوة في عمله وقوة في نيته حتى يسوي من الصادق والكاذب واحذر تجديد قوة المدح وتجديد حلاوة العمل عند المديح فانه يزيد الصادق قوة عند حادث المدح فيفسد عليه صدقه بتجديد نشاطه لم يكن حادث قوة اقوى من القوة الاولى وكل ما زاد مديحهم وتجديد اعظامهم لذلك العمل حدد له منك حباً وفيه قوة ورغبة وعليه مداومةً وبه عنايةً وان ذموا ذلك منك غمك ما كان يفرحك وضاق بك فيه ما اتسع واظلم عليك مــا كان انار عندك وصار مرًا بعد ان كان حلوًا تجد له ثقلاً ومنك فترةً وله كراهةً فيفسد على الصادق صدقه من وجوه ما وصفت لك ويزيد الكاذب مُداومةً واجتهادًا في كذبه ويجدد من الصادق عند المديح استكبارًا لذلك العمل وقد كان له مستغلًا حتى يصير في نفسه وغيره سواء (26v) يقال للصادق اكثر الله فينا مثلك وانت ممن ترجى ناحيته فتقبلها النفس او يرى رجل رؤيا فيقصها عليه فيحدث بها ظاهر قوةٍ وظاهر مداومةٍ وهو من الريا فيفسد الصدق فيصيّره كذباً ويجدد ذلك كذب الكاذب فاحذر مديح الناس واعظامهم

لا تدعين الخوف من قلة الخوف وهو ريآ لطيف فلا يظهر انك تخاف الا ان يظهر ذلك الله فيعلمه الله من باطنك كما يعلمه من ظاهرك لانه يثبت لنفسك الخوف حتى قلت اني خائف قلة الخوف لقد الطف في زيارته من ادعى المخافة على قلة المخافة .

باب حاجة العدو الى صدق النية في الفرائض

ما اكثر حاجتك الى فرائضك وحاجتك الى ادبك في فريضتك مثل حاجتك الى فريضتك وصدق نيتك فريضة عليك في فريضتك مثل فريضتك . فرض الله عليك ان تخلص له في علمك كما فرض عليك عملك فالنية والصدق في الاخلاص في الفرايض من الصلاة والزكاة والحج والبر المفروض فريضة عليك منك تلك الفرائض لاتقبل الصلاة ولا الزكاة الا بها كما لا يقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة وكما لا تقبل صلاة بغير (27r) ظهور كذلك ارادة الله والاخلاص لله بالفرائض وفي الفرائض فاعن بتصحيح نيتك في فريضتك كما تعتن فريضتك بتصحيح نيتك في فريضتك فريضة عليك وتصحيح نيتك في نافلتك فريضة عليك فصدق في النافلة فريضة وقد فرض الله عليك في النافلة ان تخلص له ولم يفرض عليك النافلة فاعن بتصحيح نيتك في نافلتك فانه فريضة عليك وهو الزم لك (×) له الزم من النوافل فالصدق في النية فريضة عليك في الفرائض وفريضة في النوافل ولا تنيب ولا تقبل فريضة ولا نافلة الا به فسل عنه واطلبه كما تطلب الفرائض فانه فرض لا يكون الفريضة الا بـه والاخلاص في اعمال الفريضة والنوافل وفي طلب العلم وطلب السنة وهي للايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبالجنة والنار سوا اخلاص واحد فرض الله تعالى الايمان بذلك وفرض ان لا يراد غير الله بذلك فقال فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملًا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه احدًا لا ايمان لمن لا صدق له ولا ايمان لمن لا يريد الله تعالى بايمانه فالاخلاص لله فريضة في الايمان والاعمال وفي التقوى كله وهو فريضة عامة (27v) على حُرّنا وعبدنا وذَكَرنا وأنثانا وصحيحنا وسقيمنا وفي السفر والحضر فاستوو في فريضة الصدق في اخلاصهم في اسفارهم وفي اقامتهم وفي سقمهم وفي صحتهم ولم تستو اعمال فرائضهم في انفس الاعمال واستوت عليهم

فرائض الله في الصدق لله والاخلاص له الا ترى ان المنـــافق ترك فريضة الله الباطنة في نيته وارادته الايمان لله وبالله فلم يكن مؤمناً وان كان مقراً باللسان حيث ترك فريضة الله في تصحيح ارادته في باطنه فرض الله الارادة له بالايمان به كما فرض الايمان فاصاب المومن الصادق بنيتـــه الفريضتين جميعاً الظاهرة والباطنة فريضة النية وهي الارادة لله بالايمان به ورسله ولا ينفع اصابة الفريضة الظاهرة لا باصابة الباطنة في الايمان والفرائض والنوافل فاذا رحلت في طلب العلم لهذه الفريضة او مشيت في طلب التعلم لها او جلست في طلب التعليم لها لغيرك فانت داخل في فريضة وجالس في فريضة وماش في فريضة وهو افضل من صيام يوم نافلةً وافضل من قيام ليلةٍ نافلةً وافضل من صدقةٍ نافلةً وافضل من حجة نافلة وافضل من (28r) غزوةٍ نافلة وافضل من عتق رقبةٍ نافلةً وهو افضل ما اطيع الله فيه فانها فريضة قد فرضهـــا الله وتركها بعض الناس وثقلت عليهم فما اكثر حاجتك في احسانك الى تصحيح نيتك وحاجتك الى ان لا يكرمك الناس ولا يعظموك مثل حاجتك الى احسانك وحاجتك الى ستر حسناتك اكثر من حاجتك الى حسناتك وما اكثر حاجتك الى جهالة الناس بك وبحسناتك وبعلمك لهذه الفريضة ليس فيها تعب بدن ولا بعد اثر ولا نفعة في ذات يدٍ وهي افضل من فرائضك فيما تركوا فرائضك وايمانك حاجتك الى حسناتك ان عَقلتَ مـــا وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا كلها ان تظهر حسناتك او ترى بها ما قبلت الدنيا ولو حملت عليك عقوبات الدنيا كلها على ان تراى بحسناتك كان ينبغي لك ان تصير الي تلك العقوبات وكيف ترا من لا ياخذ منه شيا في الدنيا ولا يحمل عنك شيا من العقاب ولم يبق عليك ولم يعدل ومن لا يعلمه منك ولو علمه منك لمقتك وتراي من انت علي يقين من نظره اليك ومن هو اعلم باظهار حسناتك دل ذلك علي جهلك فما احوجك الي اخفاء حسناتك وستر عملك .

(28v) باب قلة الاكل وتصغير الدنيا

يخافُ الله تعالى من ترك الميته وهو يعاف اكلها فهو يخاف الله ان يتركها وهو يخاف الله ان ياخذ الفضل منها يخاف ان يعصي الله في تركها اذا اضطر اليها

ويخاف ان يصيب منها اكثر من معيشته ان لو اكلها وهو غنيّ عنها فهو ياكلها بحاجته اليها لا لشهوةٍ لها فهذه غاية تصغر الدنيا فاذا كانت في هذا الموضع عند صاحبها لم يحزن عليها ولم يفرح بها من يفرح بميتةٍ فاتته او من يفرح بميتة اقبلت اليه بل يفرح بها مدبرةً ويحزن بها مقبلةً لانه على حدِ عيافةٍ واستعدادٍ ولكن جُعل محتاجاً الي الغداء فهو لا يستطيب ذلك وهو يحتاج اليه فبحاجته مَدَّ يده اليها للمخافة على فوات لذات حلاوة الدنيا.

باب التماس المنفعة في الاكل والشرب واللباس

اذا كان الله تعالى ان من طلب الدنيا فريضةً في المطعم والمشرب والملبس من قبل انه لو ان رجلًا قال لا آكل ولا اشرب وهو يقدر على المأكل والمشرب كان لنفسه قاتلًا قال الله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً فنهى عن اسباب القتل (29r) كلها فمن قتل نفسه بحديدةٍ او بسم او بغرقٍ او بحرقٍ او بجوعٍ او بعطشٍ فسوا قتله اياها فالفريضة عليه ان يُخرجها من حد قتله اياها بما تيسَّر وهان في الدنيا من مأكل الدنيا مما تاكل الا (×) وغير ذلك مما لا ياكله الناس فان اكلوه امسك انفسهم وكان فيه حياتهم وليس في المأكل شيء معلوم ولا محدود وفريضة اللبس لو ان رجلًا قال لا اصلي الا عريان ولا امشي الا عريان كان قد ترك الفريضة وهي للصلاة وكان قد ترك ستر العورة وستر العورة فريضة فكان تاركاً للفريضة في الامرين جميعاً فعليه ان يطلب من اللبس ما ستر عورته وادي فيه فريضة بغير لباسٍ محدودٍ ولا جنسٍ من اجناس الثياب من وضيعها فان ادعي انه يريد ستر العورة بلباس كسرى وقيصر لم يصدق وان ادعى انه يريد سد الجوع بمأكل كسري وقيصر لم يصدق وعلم ان هذا انما يريده للذة ومنتها طلب الدنيا جمع ما احبّ من الدنيا فافهم — لا تخلوا العبادة الا بالفكر ولا يخلو الريا الا بالفكر قبل الريا ولا يخلو حب الدنيا الا بالفكر (29v) قبل حب الدنيا يقول العابد يراني الله تعالى في عبادتي وتراني الملايكة وهو يقول المراي يراني الناس ويقول صاحب الدنيا اذا جمعت الدنيا صنعت كذا وكذا فيقع العلم بعد الخلا بالفكر نبيه مصلى نآيم ونآيم مُصلى وصائم مفطر ومفطر صايم وكاسٍ عارٍ

ومتطهر غير طاهر فاما المفطر الصايم فرجل صَوَّم نفسه في ضدّ فطره من الاثامه فهذا الصوم المعروف في ضد الصيام وضد الافطار واما الصايم المفطر فرجل جوع نفسه وافطر من صيامه في نهاره وعند فطره وسحوره فليس له من صيامه الا اسم صيامه وَجُوع كبده وظمأ هو اجره واما الكاسي فرجل يلبس ثيابه من الاثامه فثوبه وصلاته من اثامه فهو كاس من لباسه عارٍ فيما بينه وبين ربه ومتطهر غير طاهر فرجل اكتسب طهوره لصلاته من ماثمه ومعصيته فهو متطهر بمايه غير متطهر من الاثام طهوره فهذا طهور متطهر به فهو يطهر قذر بدنه بقدر التماسه لدينه ويبقي درن بدنه بذنبه فالقذرُ لا ينقي من القذر والدرن لا ينقي من الدَرَنِ فقذرُ بَدَنه ودم علي (30r) جسده ايسر في الفاحشة من درن وضوء وقَذر طهوره الذي اكتسبه من الاثامه فهو كرجلٍ توضا من الحدث بالدم او غسل دماً بدمٍ او رجلٍ به نقى معصيته في ثوبه بمعصية في (×) ماء غسل به ثوبه فثمن طهوره افسد لصلاته من دم ثوبه وقذر جسده ، ومصلي نام صلي لينام واستجلب النوم بالصلاة لا لثواب الصلاة استجلب الصلاة وقد يكون مُريدًا للنوم بالصلاة ومُريدًا بالصلاة فصلاته شطران شطر منها لنومه وشطر منها مستجاب لصلاته فوات الصلاة قال واما النايم المصلي فرجل يريد بنومه القوة على صلاته ليستجلب بقوة المنام قوة الصلاة وذلك نيته فهذا نايم مصلي .

باب صدق حسن الظن والخوف والرجا

قال تظن انك قد ظننت وترجوا انك قد رجوت ولو ظننت عملت وتهم ان تهم ولم تهم وظننت انك حيث هممت ان تهم قد هَممت ولو هَممت عملت وظننت حتى رجوت انك قد رجوت ولو رجوت طلبت ما رجوت وظننت انك تخاف ولم تخف ولو خفت هربت والخايف ليس بساهي والذي يَظُنُ انه يخاف ساهي المخافة والهرب (30v) معاً والظن والعمل معاً والرجا والطلب معاً من حسن ظنه حَسُنَ عمله قال من اشتدّ خوفه اشتدّ هربه ومن اشتد رجاؤه اشتد طلبه قال ومن رجا واسا فانّما تمني واحترى فابصر الحال التي يكون فيها خائفاً من الحال التي يكون فيها راجياً انها تمنيك ثم تحزنك فيظن انه يرجوك وكذلك

فُعل باهل الكتاب قبلنا فمن هذا نهانا الله عز وجل فقال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يُجزيه وقال الراجي ساعي الراجي ليس بلاهى والراجي ليس بتوانٍ المتمنى لاهي ساهي وقد نعرف هذا ان الرجل قد يرجوا الشي من امور الدنيا ما فيه طمعه انه لو طلبه قدر عليه فلا يتوانى ولا يسهوا ولا يلهوا ولا يقصر بل يستمر واذا رجا ما ليس طمعه انه يظفر به فانما تراه مقصراً غير مشمر لان الذي رجا انما كان منى ولو كان رجآ لطلب ما رجا فلما كان منى تقاصر عن طلب المنى ولم يحق منه حقايق الرجا فظن ان المنى رجا وان الرجا لا يكون الا بالتعب والتصبب قال من رجا الدنيا كان ترجا به حقايق حقيقة حدها في قلبه وحقيقة من ظاهره من عناية (31r) كذلك المنى للمتمني للاخرة وكذلك الرجا فالرجا له ليس له حلاوة في القلب ولا ظاهر عنـاية علي البدن وكل رجاء لم يكن بهذه الصفة فهو رجا ان يكون راجياً ومن رجا وطاب فهذا ذاق حلاوة الرجا بقلبه وذاق مرارة العناية على بدنه فهذا اصاب الرجا في اصابة نفس الرجا .

باب يا اخي اعرف موضع ما منه الشكر وما منه تستغفر من ماكلك او ملبسك او مشربك او مركبك او مكسبك او زوجتك او ولدك امن مكسب طاعة او مكسب معصية فان كان من مكسب طاعة فاشكره وان كان من مكسب معصيةٍ فاستغفره فانك ان تستغفر في هذا المكان فقد استغفرته وشكرته وان انت جعلته موضع شكر فلم تستغفره فلم تصب بشكره طريق شكره فقد لقي يونس ما لقي فما زال من موضع طريق الغضب له وقد غضب له ولكن لم يكن نصب في الباطن غضب الباطن فلم ينفعه الغضب حيث اخطا طريق الغضب الباطن بل كان الغضب في ذلك الموضع معصيةً فلا يومن عليك ان تكون اسوا حالاً من يونس حين شكره على مـا كان ينبغي ان يستغفر منه فلو ان (31v) احداً افات من هذا افات يونس فلتكن الاصابة بالشي لهم اليك من اصابة الشي فان يونس اصاب الغضب ولم يصب بالغضب ما يكون الغضب طاعةً لله تعالى لانه قد غضب لله في ظاهره وقد عصاه في باطنه بالغضب لله في ظاهره حتى اغضب الله بباطنه في غضبه لله في ظاهره فقال اذ ذهب مغاضِباً على قومه ، ويُفسرها ، فظن ان لن نقـدر عليه ذلك البلآ

الذي اصابه وهذا يدخل علي اصحاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحيآ والبر كله والصمت كله فليكن الهم في ذلك كله الباطن .

باب فضل ترك المعاصي

ترك السيية وان كانت صغيرةً افضل من ان لو حججت ماية حجةٍ ناقلة فان ترك السيية افضل وايس رجاوك الترك السيية اعظم من رجايك لماية حجةٍ ناقله بل لو اعتقت مع كل حجة رقبةً كان ترك السيية افضل والرجآ لها اعظم والثواب من الله عليها اكثر بل له غزوت عشر غزوات كان ترك السييه افضل لان ترك السييه فريضة والغزوات نافلة بل لو صمت عمرك فكنت فيه صايماً لا تفطر نهارك وقايماً (32r) في ليلك لا نفتر كانت فرايضك من ترك سيياتك صغيرها وكبيرها وفرايضك من اعمالك المفروضة عليك افضل من ذلك كله وليكن رجاوك لفرايضك من ترك كذبه الي ترك فطره الي ترك مد شعره الى ترك حلف موعدٍ انت له ارجى وهو منك اعظم وهو عندك اوثق من جميع ما وصفت من النوافل فانك ان وثقت بنوافلك ثقتك بفرايضك سويت بين ما لا يستوي وان كانت نوافلك ارجي عندك واوثق لك من فرايضك اضررت بنفسك في تصغيرك لفرائضك فليرك الله وانت مُعظم للفريضة ولاهل الفرايض فان تعظيم الفرائض اولي بك من تعظيم النوافل ومن الدليل على اعظامك الفرايض فله ادلالك بالنوافل على اهل الفرايض ومما يدلك على تصغيرك وتقليلك الفرايض استطالتك بنوافلك علي اهل الفرايض والفرايض اعم منفعةً واعم بركةً من نوافلك ليس في فرايضك عجب نوافلك ولا اذلالك بنوافلك واستطالة نوافلك وفرايضك شفا ليس فيها دآ وهي تذهب بالدآء فيها الشفا ونوافلك تجلب كبرك وعجبك واعراضك واستطالتك واستصغارك الفقراء (32v) واستهلاك الاغنيآء والحظوة عند الامراء وهي الفة الفرايض وهي دآ يصيبك وقد يصير دوآء نوافلك وذلك انك تستوي قدماك واقدام امتك في فريضتك وانت لا تستطيل من عملك بالعمل الذي يكثر فيه العمال معك انما يجلب ذلك عملك الذي تنفرد به وحدك وتقصد فيه شركاوك فذلك دآوك الا تري انك لا تُدل على الجيران ولا على الاخوان بصوم

رمضان ذلك ما يهم وانت عند نفسك صيام حالك وحالهم سوآ فان انفردت بشعبان جلب ذلك عليك ولك عجباً وتكبرًا واستكباراً ذلك لان الاخوان لم يساووك فيصومونه معك وهكذا كل اعمال البر من الفرايض فما اخفها في (مستهلها) وَمَا اثقلها في عواقبها واعظم امورها فقد ترتجى فرايضك لنوافلك وتخشا نوافلك على انفسها وعلى فرائضك فلا نامن من نوافلك للرد لفرائضك ونوافلك فانك منها ومن سقم النية فيها على خطر عظيم ان يكون الله عز وجل راك تريد غيره بعملك عبدًا مثلك فتعطيه من ذلك وتُوجه اليه اكثر مما وجهت الى ربك ان يكون حكم عليك مع غضبه عليك (33r) ان قال اعمل ما شيت فلا اقبل منك فانك تعمل في نافلتك وفريضتك في غير معتمل ثم تسليك معرفة ارادتك ومعرفة سقم نيتك فيستدرجك بتحسين ذلك عندك وقلة صرفه عليك ويستدرجك باعظام النـاس لك وخشيتهم منك وقبولهم قولك ويستدرجك بالقوة والنشاط والمداومة والمثابرة على عملك الذي قصدتَ بنيتك فيه قصد ما وصفت لك حتى يرمينك عدوك بسهم حديث فيقول لك ان الصادق يُداوم والكاذب يفتر وقد جاء ان المراي لا يثبت اربعين ليلة بل انا اصف لك انه يثبت ثمانين سنة وان الصادق يفتر والفترة اليه اسرع والكاذب اقوى والفترة عليه ابطا لانه قد تعجل من عاجل حلاوة للريا وحلاوة تعظيم النـاس وحلاوة ما اصاب بهمن الدنيا ما يقوى به على التعظيم من العبادة والتطويل من الريا ومن اوجه استدراجه لك ان ترى في منامك روٰيا تقويك على عبادتك او تُرى لك فتبلغك وتقص عليك حتى تامن على عملك برويا او برويا غيرك .

باب الزجر عن القنوط

ترك القنوط فريضة مثل ترك السيبه من الماكل والمشرب وَمثل العمل (33v) بالحسنه من الصلاة والصيام وليس مثلها في العمل بهـا وليس مثل الصبر لان الصبر امر تجزع منه النفس وانت لهـا مستكره ولها مكره ولا تسخط عمـا تحب النفس اذ فيه صادق وعـادل ومجروح وترك القنوط حسن عمله بقلبك ليس فيـه تصبر من نفسك على حسن ظنك بها انها محملة حُباً وتحمله حقاً لا صدقا من النفس ولا تصبرًا وقد يرجا لك من حسن ظنك وترك القنوط من ربك افضل مما تري من باطنك وقد يكون المومن عاصياً لله

تعالى في افعاله مطيعاً لله في تحريمه فعاله مطيعاً لله تعالى في تركه القنوط من الله
تعالى فطاعته في الوجهين جميعا في الطاعـة اعظم من تلك المعصية في المعاصي
وقد يرجا لك ما وصفت وقد يكون المومن مطيعاً لله في بركة القنوط واليأس
من الله تعالى فطاعته لله في ذلك طاعة وفريضة وعمله بالمعصية ترك الفريضـة
فقد يرجا بما عمل من عمل من فريضته في حسن ظنه بربه غفران ما ترك من
فريضته في طاعة ربه فهو فريضة يرجا بها غفران تلك الفريضة في تلك المعصية
وحذرك من امانك اياه وفرضه عليك (34r) ترك الامان علي العصيان بالاحسان
وترك الامان بالاحسان علي الاحسان كما فرض عليك ترك القنوط مع العصيان.
فحرام الياس من الله وحرام الامن من الله على العصيان وعلى الاحسان فلا يامن
الله ان يرد عليك احسانك ويعذبك باصغر عصيانك ولا تقنط من الله تعالى ان
يغفر باقل الاحسان اكثر العصيان فانه قد اطمع في السرف ان يغفره فقال يا
عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونهى عن القنوط من
الله فيه فهو ذنب في الذنوب اعظم من الذنوب التي نهى الله تعالي عنها والتوبة
منه مثل التوبة من السيبه التي قنطت بها من الله فتب الى الله من قنوطك كما
تتوب اليه من سيباتك التي جلبت عليك قنوطك واستغفره منها واستغفر الله من
أمنك وعده ذنباً من اعظم ذنوبك وخفه كما تخاف اعظم ذنوبك فان الامن
علي الحسنة كبيره والقنوط على السيبه كبيره والقنوط ذنب لا تكتسبه تعب
بدنك ولا بسهر عينك وهو ذنب تكتسبه بقلبك لا بمد يدك ولا بنقل قدمك
ولا ماكل (34v) في بطنك قال الله عزّ وجل يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله ولم يقل اقتلوا انفسكم ولا حرقوا انفسكم ولم يقل
صوموا بقية اعماركم ولم يقل قوموا فاسهروا بقية ليلةٍ من اعماركم ولم يقل ابذلوا
كل اموالكم ولا شطرها ولم يقل توبتكم تحريم ما حل لكم ولم يحمل في
توبتكم ما حمل علي قوم موسى قبلكم ولكنه قال يا عبادي الذين اسرفوا
علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يدعوكم الي ان يحسن ظنكم به وجعل فيه
فريضةً ان حسن ظنكم بربكم يرجي لسرفكم وليس فيهـا توبةً من
شرفكم ولكنها طاعة في سرفكم ترجي لشرفكم فانتم من سرفكم ومن
ظنكم في حسن ظنكم بين امرين بين ما يرجا وما يخشا وهو العدل والفضل

من الله نظرًا منه لكم وحجزًا لكم ان تقعوا بسرفكم في ذنبٍ لا تعمله جوارحكم وهو اعظم من جناية جَوارحكم عليكم فقال ان الله يغفرالذنوب جميعًا انه هو الغفور الرحيم ثم اخبرك ان ذلك بمشيته في قوله تعالى يغفر لمن يشا ويعذب من يشا من اهل السرف ومن اكتسب دون السرف (35r) وقال ان الله لا يغفر ان يشرك به وتغفر ما دون ذلك لمن يشا والشرك من السَّرف غير السَّرف بالايان والتوحيد وَما شا من طاعات المطيع لمن يشا فقوله لا تقنطوا من رحمة الله نهى وهي فريضة وهي اطماع في عفو الله وليس فيه بيان غفران لذلك السَّرف فتركُك قنوطك موقوف برجايك ويُخشا عليك ما كان من السّرف فالسّرف يخشا على تركك القنوط وتركك القنوط يرجا للسّرف ويَدلك ذلك من جهة حسن ظنك بربك وتركك قنوطك والياس من ربك قوله تعالى حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان وانت لا تحمل الكفر لثقله على بدنك ولا تحمل الايمان لثقله على بدنك ولكن تحمل الحب لله وللايمان خفة بقلبك وتحمل الكره والسخط للكفر بقلبك كذلك تحمل احسن ظنك وتركك القنوط خفه بقلبك فليعظم رجاوك لمن لم تقنط من رحمته وليعظم خوفك من امن مكر الله فانه لا يامن مكر الله الّا القوم الخاسرون .

باب بيان السيه والهم بها وما يتشعب (35v) من ضررها

قال الهم بالسيه همّان هم اجماعٍ وازماعٍ عقد بالقلب واجماع من العقل وهم يخطر بالبال وليس بهم اجماع ولا ازماع ولا عقد بالقلب ولا اجماع من العقل ولا ثبات له وهو هم يوسف الذي لم يدعه الله له ولا مكنه منه وهو هم خطرهٍ وليس فيه هذه الصفة وهو الهم الذي لم يكن اجماعاً ولا عقد عقل وكذلك هو من كل مومن والهم الذي هو مثل هم يوسف والجماعة ذنب وليس هو بالذنب الذي هم به في نفس ذلك الذنب والممشا في ذلك الذنب الذي هذا الهم به الذي وصفت لك ممشا سييات والكلام فيه من سييات والمجلس لانتظاره مجلس سيه والنفقة في الذي اجمع علته نفقة سيه والسفر فيه سفر سيهٍ واثر سيهٍ وليس هو بتلك السيه في نفس مشمر معمل تلك السيه ولكن سيه يطلب بها سيه ، فالفعل في طلب السييات يكتب سيات والاثار والنفقات في طلب سفك الدما. واخذ الاموال وتعطيل الحدود سييات ظفر بتلك السييات في

انفسها او لم يظفر بها فان جرت المقادير (36r) يفوق عمل تلك السيات في انفسها من ماكل او مشرب او ضرب بيدٍ او وطى بفرحٍ او قتلٍ بسيفٍ او تحريق بنار فالاثار والمسير والنفقات سياق وان جرت المقادير بالعمل بها كتبت تلك السيبات سيات فتكتب تلك السيه في العمل بها في اكلها او شربها او وطيها على وجه ما اصيب فيه سايه معتمل وتكتب الاثار في طب تلك الاعمال اثار طلب سيات لان الاثر في طلب السيه سيية والطلب للسيه لا يكتب حسنة فالسيه عظمة شومها كبيرة تبعتها كثيرة ، اوجه ما تستجلب بها السيات استصغارها واستقلالها من آفتها ومن علم ضررها والاضرار عليها من ضررها والاثار في طلبها من السهر والسفر من ضررهاوالحزن من فوته على ما فاته منها من ضررها والفرح بعملها من ضرزها والتمشى لمثلها اولها في انفسها من ضررها والتلهف مثلها تلهف معصية على صاحب ذلك كله في كل وجهٍ من ذلك اعظم السبيل ويدلك على ذلك ان الله تعالى سجن يوسف بهمةٍ وما تم له فعله بضع سنين في سجنه وهو في غير ذنبٍ (36v) في العمل ببدنه ما اقصا يوسف ولكن مشى فعاجل الله بهمه وبممشاه وبمقامه وكلامه وبنظره فقال ولقد همّت به وهمّ بها فوصف منها همّاً وهم بها فوصف منه مثل همها ثم حذر بعدهما كل من جآه خبرهما فالهمّ ذنبٌ ولا من يوسف ولا منها الذنب في معتمل الذنب فهمّه لم تكن النية التي يحل سراويله لها والذي صرفت عنه السيه ولم تصرف عنه الهمة بها فانفلت من سي معتملها واصابه وبال الاجتماع والهم والمقام والممشا والمقال والنظر فلم تكن تلك الاثار اثار حسنات وكانت الاثار سيات منه ومنزلته وهي من عشيرة مثالها منه سيات وليس هي بانفس من تلك السيات ممن هم بها فارادها كارادته وكهمته . قال وَهم الخَطره للذنب يواخذ بها هي مثل الصدمة والجزع عند صَدمة المصيبة فتلك موضوعه ليست تلك بقلة رضاً ولا ترك للتسليم ولا خروج من حَد الصبر ولكنها جُرعة عند المصيبة لا يملكها بشر مَوضوعه ومغفورة وليست بسيبه لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند مصيبته (37r) بابراهيم ابنه تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب فالدمعة وحزن القلب ليس مما يسخط الله وليس مما فيه ترك الصبر لله وليس فيه ترك

الرضا لله وليس فيه ترك الرضا والتسليم لامر الله ولكن وضعه الله عن ابن ادم لانه لا يستطيع صبرا ولا يكون الا كذاك ولو كان الدمعه والحزن عند الصدمة قلة تضني وسخطاً للقضاء وخروجاً من حد الصبر لعصم الله منه نبيه فهو للموت كذلك موضوع عنه .

باب بيان الحسنة والهم بها وما يتشعب من تفرعها

فقال والهم بالحسنة حسنة والاجماع على الحسنة حسنة وليس في الحسنة خطرة ولا يقال خطرة للحسنة ولكن يقال هم بالخطرة في الحسنة هو الهم بالحسنة والهم مضاعف الى ما شاء الله من التضعيف لا يحصا تضعيف ما بشكر الله ولا يحكا والممشا في الحسنة حسنة نحو السيات التي كتبت لك في صفة السيات والآثار في المحسنات حسنات كانت مكتسب من الحسنات حسنات من وجوه ما وصفت لك فما اعظم بركة الحسنات واعم منفعتها واكثر وجوه بركتها واكثر وجوه ما تجلب الحسنات (37v) من الحسنات فالمومن ماجور في طلب الحسنات وفي الهم ماجور في النفقة في الحسنات فكن احد رجلين اما رجل اكتسب نوافل الحسنات وفرائض ترك السيات او رجل اصاب بترك السيات فرائض الله في ترك السيات وما اردت من بر فانظر فيه فان كان لله فان ارادتك حسنة وعملك حسنة وان لم يكن لله فتركه حسنة فريضة فقد تُصيب بترك النافلة التي لا تريد الله بها فريضةً لان الله عز وجل فرض عليك ترك ما لم ترده ولم يفرض عليك كل البر من النوافل فترك الريا في العمل فريضة والعمل بالريا ترك الفريضة والصدق في النية في النافلة فريضة فانت مصيب فريضتين من وجه مــا وصفت الك فريضة في ارادتك الله اخلاصك لله وفيه فريضة الله عليك وَفريضة حيث تركت اللذات من نيتك وتركت ما لم ترد الله به من عملك فهما وجهان من الفريضة فريضة ان عملت بالحسنة النافلة ان تخلص نيتك فيها وفريضة ان تركت حسنةً النية فيهـا كاذبة وقد بيّن الله في آية من كتابه في الآثار والحسنات فقال ولا يطأون موطئاً لغيظ الكفّار (38r) ولا ينالون من عدوٍ نيلًا الا كتب الايه فسوي بين الاثر والعمل وَقال تعالى ذلك بانهم لا يُصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيـل الله ولا يطأون موطياً لغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلًا الا كتب لهم به عمل صالح فالنيل والاثار والظما والمخمصة

والشقا والتعب والنصب والضجر كل ذلك عمل صالح طلب به الجهاد في سبيل الله تعالى فاعله يكتب بذلك كله حسنات قال وقد حضر حكيماً الموتُ فاجتمع اليه تلاميذه فقالوا وصنا فقال اني لمتكلف لكم الكلام على ما بي اخبروني اموقفون انتم بفضل الزهد ام لا قالو ما لزمناه الا لعلمنا بفضله قال افي الدنيا ذلك الفضل ام في الاخرة قالوا اما اذا قررنا بفضله ورواينا غير اهله افضل في الدنيا عيشاً من اهله فقد اضطرنا الراي الى ان يوجب ذلك الفضل لاهله في الاخرة قال فانكم ان كرهتم الموت الذي هو سبيلكم الي الاخرة فقد كرهتم المنزلة التي فيها الفضل لكم ورضيتم بالمنزلة التي فيها الضرر عليكم مع انكم احق ان تنظروا ما هذا الموت المكروه عند العامة هل تجدونه غير مفارقة الروح (38v) الجسد قالوا ما نجده غير ذلك قال فهل يسركم ما ادركتم من العمل او يحزنكم ما فاتكم منه قالوا نعم قال فباي ذينك الحُزَنين يُقتنى العلم وايهما يقصر بكم عن استكماله اباالجسد الذي قد ترون ما به من العمى والصمم والبكم والضعف وقلة العنا عند مفارقة الروح اياه ام الذي لا يزال الانسان سميعاً بصيرًا ناطقاً عاقلًا ما رام فيه قالوا بل بجيوة الروح وجهته تدرك العلم وثقل الجسد وغلطه يقصر عنه قال ان كان قد استبان لكم ان العلم ثمرة الروح فان المُوَطي بكم عنه ثقل الجسد فكنتم بدرك العلم مسرورين وبفوته محزونين لقد اضطركم الراي الي اختيار مفارقة الروح الجسد على ملازمته اياه الستم ترون ان شهوات الجسد النسا والبنون والاموال وفضول المطاعم والمشارب والملابس والمراكب وهي المضرة بالزهد وانكم لم تجعلوا تلك الاموال من الشهوات ولم تظهرو منها الا صيانة للعقول ورغبةً في زيادة العلم قالوا بلى قال اما اذا قررتم ان هذه اللذات المقوية للجسد هي المفسدة للعقول فان الاجساد التي (39r) تقبل اللذات هي لها افسد قالو فكيف لنا بان نجترى من الموت علي مثل ما اجترات وترهد في الحياة مثل الذي زهدت فيه قال لهم الحكيم الستم تعلمون ان الحكيم الخالص العاقل البري من الذنوب قد امات نفسه بيده قبل حين حنفه وذلك انه رفض من الاهل والنغمة والمال ما لا يراد الدنيا الا له واحتمل من نصب العبادة وعنآ بها ما لا يريح منه الا الموت فما حاجة من لا يتمتع

بشي من لذة الحياة الي الحياة ام ما هرب من لا راحـة له الا في الموت من الموت لعمري لقد ظلم من التمس اسم الحكمة والزهد في الدنيا بغير استحقاق معناها وجهل من ظن ان له اليها مع النعيم والتلذذ سبيـلا فهل عسي ان ياتي احدكم برايه ان يجتمع له اسم الزهـد في غير سيرة الزهد وانواع المطاعم والمشارب والملابس والمناكح قالو ما نطمع في ذلك ولا نظنه وكيف نطمع في اجتماع الزهد واعمال زهره الدنيا وقد ري(رُءِيَ) ان احدنا اذا زاد في مطعمه ومشربه بعض الزيادة او قارب منها ما يثقل او يحرك في قلبه شي من اضداد العقل مِن الشهوة والحرض والحسد واشباهه انكر عقله زماناً وان كان لم يباشر (39v) شيا من ذلك الذي تحرك اليه فكيف بمقارفة تلك الامور ومباشرتها لعمري ما من شي انفع له من الصيابة ولا اسرع اليه من الفساد الي عقـل الحكم قالو ما ترك قول معلمنا الحكيم لنا سبيلًا الى ان نتمتَّع بلـذةٍ او نرغب في بقـا وما فضل جُرءته على الموت على جرءتنا عليه الا لفضل ما اصلح من نفسه مما هو منا غير منصلح ولو قد اصلحنا من انفسنا مثل ما اصلح من نفسه مما هو غير منصلح ونفينا عنها من قرآينها من الحرض والشهوة والغضب مثل الذي نفا لحدث لنا من الجراة على الموت مثل الذي حدث له ، وقال قايل كانوا اذا تعلمو عملوا فاذا عملوا شغلوا واذا شغلوا عرفوا فاذا عرفوا هدبوا وقال نظرت في هذه الامور فاذا جميع الخلق قد حلت بهم العقوبة الا من شاء الله وكذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنه احد بعمله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمةٍ ويقـال انه قال عليه السلام لو اني وعيسى بن مريم أخذنا بما كسبت هاتين لعذبنا (40r) عذاباً لم يُعذبه احدٌ واشار باصبعيه او نحو هذا فنظرت من ارجا الناس الرحمة فاذا هو المقبل على طلب الاخرة بالعبادة والزهد في الدنيا والورع ونظرت اهو شي يعتمد عليه فاذا هو شي لا يعتمد عليه لانه لا يبلغ في ذلك مبلغاً يستحق الجنة بعمله قال ويقال ان عيسى بن مريم عليه السلام قال ان كان فيكم من وثق بعمله فاني لا اثق بعملي فنظرت هل يجوز ان يفوز المفرط او يهلك المجتهد فاذا ذلك يجوز فاذا الامر قد رجع الى مشية الله تعالي اذ لم يستاهل المجتهد بعمله ولم يقنط الله المفرط دون الشرك لسعة رحمته فنظرت هل من خلق فيهم بان

ذلك (×) فاذا العابد الذي قال للمفرط والله لا يغفر لك فغفر الله للمفرط وكان تفريطه سبب النجاة والمغفرة وادخل العابد النار فكانت عبادته سبب هلاكه واذا صديق بني اسرايل حيث قال انا صديق بني اسرايل كان سبب هلاكه شدة اجتهاده وكان خليع بني اسرايل سبب نجاته تفريطه حيث ازرى على نفسه فراسُ هذا علم اخفى على الخلق الا انك ترجوا المجتهد في الخير يخاف على المفرط ويرجوا (40v) بعد للمفرط ويخـاف على المجتهد لانه حكم عدل الا تري لو ان سارقاً سرق عشرة دراهم وسارقاً سرق ماية الف درهم كان حكم الله فيهما واحداً قطع اليـد فكذلك لا يومن على من عصى الله تعالى ان تحل به العقوبة الا ان يعفو عنه وكاني رايت ارجا الناس للنجاة اخوفهم على نفسه الا تري ان يونس اذ ظن ان الله لا يعاقبه عجل عليه العقوبة وقد ذكر ان قوماً ازروا على نفوسهم وخافوا الهلاك فعادو بلوم انفسهم نحو حيث الاسكاف الذي قال ارى الناس يدخلون الجنة وادخل النار والذي اصاب دينا فقال ما يرضى عني ربي فكتب صدّيقـاً والذي قال مثلي يدخل المسجد ومثلي يجاس مع هاولاء فكتب صدّيقاً والعابد الذي قـال لنفسه من قبلك اتيت وليس عندك خبر فقيل له ساعتك هذه التي ازريت فيها على نفسك افضل من عبادتك كلها وقالت عائشة رضي الله عنها اذا علمت انك محسن فانت مسي واذا علمت انك مسي فانت محسن وقال بعض الناس هلك من لم يقر انه هالك وقال الفضل لعيسى بن يونس انما اخاف عليك انك تري (41r) انك عالم وانت جاهل او ان تري ان عندك خيراً وليس عندك خير او كما قال فراينا الازرآء اشبه الطرق ثم لم نامن ان نجبه من هذا الوجه فنقول انك خايف وانك وَجل فاستبشر فانك ناجٍ وفايز فيا ويح المسكين مـا يدري انى يوتى وكيف يهلك ومن اي وجه يهلك امن وجه الاحسان ام من وجه الاساءة الا ان الاحسان والاجتهاد احمد واعـذر والخلق لله يغفر لمن يشا ويعذب من يشا فنقول ما شا الله وقال ما احسن كثرة الصلاة والصوم ولكن نبل الرجل وشرفه وصومه وبره وعقله ووُعده فاذا بلى بعمل من اعمال البر علم الله منه عنايته بلقايه واحكامه واخلاصه واذا ابتلى باعمال الشر علم الله منه حَذره من الاثم في منطقه وسمعـه وبصره وفرجه وَجوارحه من مطعمه وغير

ذلك واذا ابتلى بذلك علم الله منه ندامته وفزعه وخوفه وتوبته فهذا مثل الرجل وشرفه وقد يكون كثير الصلاة والصوم ولا يكون له ذلك الحذر من الدين ولا دقة النظر في الامور وقد يكون كثير الصلاة والصيام وهو يحب كثرة المال (41v) ويحب المنزلة عند الناس وانما يدور الامر علي الصدق والبر والورع والعقل ان يكون ثابتا لا يزول عند الرضا والغضب ولا عند اضاقة الدنيا ولا عند الزوال والمنع ولا عند التكرمة والهوان بشدة مذاهبه وشمايله في اي حالٍ كان على مرتبةٍ واحدةٍ فهذا المنسوب في الدنيا الى النبل والشرف في امر دينه وقال قايل في معرفة النفس اني اتهمت نفسي على ديني واتهمت معرفتي بنفسي فلما صححت النظر واطلت الفكر لاقع على حقيقة معرفتي بنفسي وجدتها تتكلم بكلام الخايفين ما لم تضطر الى الخوف وتقول بقول الابرار ما لم تمتحن بالتقوى وتصف وصف الصديقين ما لم تحتج الى العمل به وتدعى دعوى الموقنين ما لم تمتحن بالاخلاص وتزعم انها من المتواضعين ما لم تُخالف هواها عند تهييج الغضب فلم اكن اتوهم عند وصفي للصدق واثبات قولي للحق وحلاوة منطقي بالاخلاص الا اني كذلك فاذا امتحنت في مواطن الحق لمحاسن القول مني وجدتني كاذباً واذا احتجت في مواطن الخوف الى خوفي وجدتني امنا واذا احتجت في مواطن الاخلاص الى الاخلاص وجدتني مرايياً (42r) في غير موطنٍ ولا (×) ولا اكثر من ان احصيه فان ثبت في وصفي محاسن قولي وجب ان يكون ذلك من مخرج الحق من قلبي اذ كنت احسن وصف الصدق بالقول ولا اجد حقيقة الصدق في العمل فظهر لي بذلك فساد عملي وصح عندي وصف منطقي فرجعت ملتمساً من اين فساد عملي فعلمت ان فساد عملي من فساد قلبي ولو صح يا قلبي لصح مني قولي ولصدق بالوصف اساني ولم يظهر مني التزين لمن لا يملك ضيري ولا نفعي فاطلت الفكر وصححت النظر واستعنت بالعلم لاقع على العلة التي فرقت بين محاسن وصفي وقبيح خبري في امتحاني ثم تدبرت ما يظهر من لساني فصح عندي ان اللسان مترجم القلب فوجدت اللسان يصف الحق فيحسن ويصف الصدق فيصيب ثم يمتحن الاخلاص بها فيجيد فتحيرت عند حسن هذا الوصف وبعد هذا الخبر وقلت ان كان لساني مترجماً عن قلبي فترجم بهذه المحاسن لم اشك ان ساكن قلبي الصدق وغامره الخوف ولولا

ذلك لترجم اللسان بخلاف ما قد ظهر منه من وصف البر والاحسان فاضطرتني العناية الى استرشاد (42v) العلم والمعرفـة والاستعانة بدليل العقل فاسترشدتهم فدلوني على ان النفس تقتل من علمها ومعرفتها وتضطر الى دلالة تجعلها في كل ما هم به وجهها عند الناس ليعرفوا فضلها في علمها وحسن سيرتها في ادابها واذا وقع الامتحان الذي ينبغي ان يعمل بعملها ويتكلم فيه لله بها قدمت هواهـا واخرت عملها ورخيت بهواها فدلتني المعرفة بانها هي المُعَبِّرة عن نفسها بالصدق بالقول في غير مواطن الصدق وهي المِحقة عن نفسها ، التوهن في قولها والريا في عملها اخفي كثير ذلك منها على العارفين من المدعين المعرفة بانفسهم فما ظنك بالجاهلين بانفسهم وانما تصح معرفة مـا وصفنا عند جهابذة العالمين من العارفين بانفسهم عند تحقيق الامتحان فلا تعـبر بمحاسن وصف نفسك الصدق فاذا احتجت الى صدقها كذبت ولا تطمين الى صحة وصفها للحق فاذا احتجت الي قيامها بهِ عدلَت ولا تلتقـين الي حسن وصفها للاخلاص فاذا اضطررت الي اخلاصها رَايت وتريَنت ولا تغـتر بوصفها البر والتقوي فاذا امتحنت برها وتقواها غدرت وفخرت ولا تقبلن منها دعوي الخوف فاذا افتقرتَ (43r) الي خوفها امنت وبطرت ولا تيقن باظهارها الرضا والتوكل فاذا عارضها خوف الفقر دون (× ×) قنطت ويئست وان عارضها ايسر البـلا سخطت وجزعت ولا يغرنك ما تُظهر الك من تواضعها واسترخاء اذنيها فاذا احتجت الي حقيقة الامتحان تكبرت وتجبّرت يا مغرور ولا تقبلن منها دعواها الحلم وكالمهـا في مواطن التزين فاذا افتقرت الى جهلهـا عند استماع ما يجاب به من قول حقٍ فيها مما يسخط منه سفهت وغضبت فان مدحت بباطلٍ مع موافقة ذلك هواها اهتزت وَفرحت يا مغرور ولا تفرحن بمبادرتها في اصطباغ المعروف والمبادرة في الخيرات فان لم تشكر على معروفها وتقرر لها احسانها غضبت وقطعت بك في كل حالٍ يحتاج فيه الى صدقهـا وخذلتك في كل اوانٍ يحتاج فيـه الي اخلاصها واليستك في كل اوانٍ يحتاج الي شكرها للمنعم عليها فلا تكتفين الي محاسن وصفها للتزين وكبير عملها للريا ولكن انظر كيف تبطل محاسن وصفها بقبيح خبرها واَعلم انمـا تستخرج محاسن ما في القلوب من الصدق(43v) ومساوي ما في القلوب من الكذب في مواطن الامتحان فعندها تبدو فضايح

ما تحن به ضماير الانفس من شرٍ ان كان فيها او خيرٍ ان كان عندها فغير نفسك بميزان عقلك في مواطن الامتحان فحققه عليها واستحي من دعواك الصدق وَقد ظهر لك سبيل الريب منها وصح عندك مخرج الكذب من خالص ضميرها وليكن لك في الحق نصيب باقرارك عليها بكذبها واثباتك لها باطلها فتدبرت هذا الوصف من دلالات العلم والمعرفة وشهادة العقل لها بصدق ما دلا فوجدت الخبر الشافي فيه وعلمت أَلو كان ساكن قلبي الصدق والتقوى او كان عامره الخوف والاخلاص لاعانوني عند اوان حاجتي اليهم فلما فقدتهم في مواطن الحاجة اليهم ظهر من قلبي عند اضطراري الي الخوف الامن وعند استعانتي بالصدق ظهر منه الكذب وعند فوزي الي الاخلاص ظهر منه التزين وعند استعانتي بالتواضع ظهر منه الكبر وَعند حاجتي الى الحلم ظهر منه السفه وعند امانتي لطمعي ظهر منه الحرض والشره وفي اوان التودة وحسن (44r) النظر ظهرت مني العجلة والرعبة وَفي اوان حسن الظن والثقة ظهر مني الاستبطا والقنوط وخوف الفقر وَعند حسن الثناء والمدح بما ليس في ظهر مني السرور والرضا به عند الذم بسوء السيرة بما قد عرفته مني ظهر مني الغضب تسخطاً لما قيل في فصح عندي مع تصحيح هذا الوَصف ان ساكن قلبي وغامره الرّيب وَالكذب وعلمت ان قلباً غامره الريب وساكنه الكذب ان الكذب والفجور والرَيب مجانب لليقين غير انه يجب على العبد فَرضاً عليه ان يقر بالايمان ولا يجحده فيكون زياده في شره فعظمت عند تصحيح هذا الخبر مصيبتي وهذا حال فيه عظمت بليّتي الّا ان يتغمدني الله بجميل عفوه ولم ينقطع عند قبيح ما بدا لي من نفسي رجاي وعلمت ان الله تعالى اكرم من ان يويد عباده بمعرفةٍ او يعدهم بمعونةٍ ثم يخزّهم عند اوَان حاجتهم اليه او ان يطلبه العبد ويضطر اليه ويحسن الظن به ثم يخلفه ظنه فسهل على ما بدا لي من قبيح امري وشرارة نفسي واحتيال ابليس لي في احوال وعلمت ان كيد الله عز ذكره(44v) انفذ من كيد ابليس في بني آدم وعلمت ان من تفضل علي بوهوب معرفته وبهذا وصفي انه قادر على اصلاح فسادِ قلبي فلم اييس قال قلت فما تسهيله لك بمطلب الصدق قال اذ اظهر علي عيوب نفسي وكذبها واقررت به فقد سهل لي طريق مطلب الصدق قال قلت فما الذي يحول بينك

وبين الصدق اذ تركت درجته وقد عرفك معارج الكذب قال يحول بيني وبينه ترك الشكر مني له على ما عرفني من عيوب نفسي وكذبها قلت فما شكرك هذه النعمة الي قد حالت بينك وبين ان تنال درجة الصدق قال تركي الكذب في مواطن الامتحان قلت فان عجزت عن ذلك فبما استعين عليه قال بالصبر على مخالفة هواها فيه قلت فان لم اطق في مواطن الامتحان اذا هي تكلمت ان امنعها من التزين والكذب قال فاحبسها فيه من الكلام قلت فان قهرتني وتكلمتُ وندمتُ قال ففرض عليك ان تهرب بها من كل موطن تعلم يقيناً انها تقهرك فيه على الكذب والتزين قلت فان لم اصبر على ان احبسها من هذه المواطن التي تقهرني (45r) فيها بالتزين والكذب قال فمن اجل غلبة حب الكذب عليك (×) بها محل الكذب والريا والتزين واعلم يقيناً ان بينك وبين الصدق عقبةً الكذب ينبغي لك ان تقطعها قلت قد صح عندي فضل ما بين الدرجتين واني لا اصل الي ركوب درجةِ الصدق الا بتزولي عن درجة الكذب ولكني قد رجعت مضطرًا الي معرفتي التي هي صلاح فساد القلب من بعد ان صح عندي الفساد ولم التفت الى عملي لانه قد صح عندي اي لا اادرك بسقم عملي اصلاح فساد قلبي فرجعت ملتمساً من اين اتيت ومن اين ذهبت بفساد قلبي وما الذي ينفي عن القلب الكذب والريب فوجدته الخوف الصادق فصح عندي ان قلباً غامره الخوف الصادق ما للريب فيه مبيت ولا مقيل الا بالخطرات والوساوس من الشيطان ثم ينفيه الخوف عن مسكنه فلما صح عندي ذلك علمت ان الخوف اولًا يتفجر منه الخوف وطلبت العين التي يتفجر منها الخوف ما هي فوجدتها الشكر لله فلما صح عندي ان مخرج الخوف من الشكر علمت ان للشكر بحرًا يخرج منه الشكر وطلبت البحر الذي منه يخرج الشكر فوجدته (45v) اليقين فالتمست اليقين اولًا فلم اجده وطلبت مخرجه من اين هو فوجدت مخرجه من عند الله فانتهيت الى غاية الغايات فوجدت الله اول كُلّ شي وخالق كل شي والدال على كل شي ووجدت الذي يتلوه وهو الدليل عليه الايمان به وهو اقرب الى اليقين من كُل شي لانه من ايقن بالمنعم عليه شكره علي نعمه فطلبت ادنى الاسباب الى الشكر فوجدت الخوف اقرب الى الشكر من كل شي لانه من شكر الله تعالى على نعمه خافه على زوال نعمه ومن

خافه على زوال نعمه جانب معصيته وَمن جانب معصيته فقد سارع الي طاعته فـاذا شكر القلب اليقين والشكر والخوف تفر عن القلب الريب وَالكذب وخالفه الايمان وكان القلب منورًا باليقين مزيّناً بالشكر معصوماً بالخوف مستعملًا بالرجا مشتاقاً الى ما به قد ايقن زاهدًا في كل ما هو دونه فاذا كان للقلب على ما وصفنا وجدت صاحبه ممسكاً عن وصف ما يعرف وذلك كله من فنه فاذا جأت الخطرات التي تحركه لما فيه عند حقائق الامتحان (46r) ظهر ما في القلب من الصدق في اوانه ومن التقوى في اوانه وَمن الخوف في اوانه وَمن الاخلاص في اوانه وَمن الشكر في اوانه ومن التواضع في امتحانه ومن قول الحق في مواطن امتحانه ومن حسن التوكل في اوانه ومن كراهيته للمدح وحسن الثنا وقلة محبته الرياسة وَالتعظيم في اوانه ومن حبه اخمال نفسه في اوانه وَذلك كله كامن فيه فلما تبينت ما فساد القلب بالمعنى الذي وصفنا كثر علي دعوي الصدق بعد معرفتي نفسي وَقلت كيف بالجراة مني علي هذه الدعوى فدلني العمل على ان دعواك الصدق تاكل مـا فاتك من الكذب فمنعه حربك على دعواك فصدقته قلت قد فهمت عنك ما وصفته من فساد العمل وذلك لان مخرجه من فساد القلب ثم ايستني من اصلاحه الّا بالخوف الصادق ثم اخبرتني ان الخوف الصادق لا يكون الا من اليقين وقد علمت ان من اليقين ما هو اكثر منه ثم لا منتهى لعظمة الله فصف لي اقله فقد علمت ان باقله قـد يدرك الادمي كل المنافع على قدره قال (46v) صدقت فاعلم ان اليقين نور يجعله الله تعالى في قلب عبده فيشاهد به القلب امور الاخره كالمشاهد لها بالغيب عنها فيري ما هنالك من الجنة والنار وعظيم ملكوت السماوات بروية نور القلب بما هو انفد من روية الاعين لمشاهدة الدنيا ثم يرجع الى القلب بالشهادة على ما قد نفد فيه نور قلبه فيملا القلب باقل ما فيه من اليقين نورًا ينفي عن القلب كل ظلمة فهو قول الله في كتابه او من كان ميتاً فاحييناه ليس يعني ميتة الاموات وذاك ان الله لم يردد ميتاً مات الي الدنيا ولكن ميتة الاحيـا وهي الظلمة التي كانت في قلوبهم فانارهم الله باليقين فهي حياتها ومن اراد ان يتركه ميتاً وهو حي يمسي بـين ظهراني الناس وهو عند الله وعند الموقنين الاحياَ للظلمة التي في قلبه تركه الله في ظلمة لا يطالع بظلمة قلبه شيا من شواهد الاخره قد حالت الحجب بينه وبين

مطالعيها فهو يقول مـــا يقول الموقنون ويصف صفاتهم والقلب مظلم لا نور له فليس لوصفه حلاوة ولا لاعماله نور فقال اوَ من (47r) كان ميتًا فاحيينـــاه فهو الـكافر والمنافق والجاهل فاخرج الـكافر من كفره والمنافق من نفاقه والجاهل من جهله فهي حياتهم ثم قـــال وجعل له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منهـــا افرايت من تركه الله في ظلمته من يستطيع ان يخرجه منها الا الذي تزله فيها فاخبر الله تعالى انه ليس بخارج من الظلمة فقالت الجهلة ممن يَدّعي الاستطاعة بل نحن نستطيع ان نخرج منها وَقال الله تعـــالى ليس بخارج منها حَتمًا وادعي الادمي الجـــاهل انه يستطيع حتمًا منه فلو علمَ المسكين انه انما صار لا يستطيع كثيرًا بما تريد من احواله في دعواه الاستطاعة كثير من الاستطاعة كي يستطيع (ويلجا) الي الذي يملك ضره ونفعه في الطاعات وَالمعاصي ليعينه على ما لا يستطيع ونعود الى ذكر اليقين قال قايل اليقين اذا اوصلِ الى القلب يملا القلب نورًا وينفي عنـــه كل الريب فيمتلي باقلِه القلب شكرًا ومن الله تعالى خوفاً وذلك لان اليقين معرفة عظمة الله تعالى قدر عظمة الله وعظم قدر معرفة عِظَم الله فلذلك يـكون قدر (47v) الخوف من عظمة الله وبقدر كثرة الخوف لله يحتجز العبـــد من معصية الله ويصدق في الاعمال من طاعة الله فاذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه وعمر خرابه فاذا قل الخوف خرب القلب وَقل عمرانه قال قلت فما عمران الخوف في القلب قـــال الحزن الدائم والاعتبار بما يري والاختبار بما تسمع قلت فما خرابه قـــال اذا لم يـكن فيه ما وصفنا قلت فاذا لم يـكن في القلب الخوف والحزن فما الذي يخلفه ويعمره قال الامن منه والسرور بالدنيا وَالفرح ومن الفرح والسرور تنتج القسوة والغفلة ومن بينهما ينتج العجب ومن العجب مخرج الـكِبْر كقول النبي صلي الله عليه وسلم اخوف مـــا اخاف عليكم شحًا مطاعًا وهويً متبعًا واعجاب كل ذي راي برايه واذا سـكن في القلب العجب ورثـــه الـكبر وكان غامره حينيذ حب التعظيم وحب الثنا وحب الرياسة والمدح فان لم يفعـــل ذلك به انتفخت اوداجه واحمر حماليق عينيه غضباً وذلك محض الـكبر قلت فاذا صح القلب بتصحيح الخوف فيه صحت الاعمال قال فما ظنك بالدابة ايجهدها (48r) قايدها وحثها سايقها تُقصر في السير طاقتها ومجهودها قلت لا قال فلذلك لا

يستكن في هذه النفس المعيوبه اذ افادها الحق وساقها الخوف الصادق انها لا تقصر في اعمال الطاعات بالاستقامة خوف العاقبة فانظر متي يخرج الامن والاستهانة من قلبك فكيف بوجوب الطاعات فيه ان العقوبات تعجلت مع الوُثوب على المعاصي لاقصَرنا عن المعاصي ولاستمرينا حُسن السيرة من الاخلاق والاداب لامور الدنيا ولجدّت بنا الاستقامة لاعمال الاخرة ولكن العقوبات تاخرت فاستمرينا قبح السيرة من الاخلاق والاداب لامور الدنيا ففقدنا الخوف وقعد بنا الامن والاجتهاد عن استقامة اعمال الاخرة ولكن من ثقة منا بصبرنا على وعيده وعقابه لبسنا ثوب الاستهانة ولكن من قلة يقيننا انا حذروا من عقابه فانا لله وانا اليه راجعون وقال قايل متعنا الله واياكم بالنعمة والعافية ومن علينا وعليكم بشكر يَجلُب المزيد ووفقنا واياكم لامتياز الحكمة والغنم ولايثار المبادرة علي حسن الشكر منا عليه اني للعناية بنفسي ومن اعني (48v) به صرفت ما علمت لاختبر به ما جهلت فلم اجد احبط للاعمال المستورة ولا افسد للقلوب الجامدة ولا اضر بالحكمة البالغة ولا اجمَع في هلكه العبد المريد ولا ادوم على اضرار الموفق ولا ابعد عن الانصاف ولا اقرب من الجور في الحكم ولا الزم لحجة العجب ولا اثر لجلب الهوي ولا اجهل لاصابة الحق ولا اعمل بالريا والتزين ولا ابرك لخالص النصح ولا اعمل بموافقة الهوى ولا اشد من (كلمة ناقصة من قلم الناسخ) سخطاً له اذا هو خالف منه الهوى ولا ابعد من حسن السيرة ولا اقرب من قبحها ولا احسن ظاهرًا ولا اقبح باطنًا من غفلة الرجل عن نفسه وقلة معرفته بها سيما ان كان عاقلًا مريدًا فاجابته نفسه حينئذٍ الى احتمال مؤن الطاعات او عالمًا مودبا فادرك بعلمه فضيلةً لم تكن نفسه باملها ولا يبلغها بملك من ملك الدنيا عظم نفسه حينئذٍ ترصده ارصاد تُصبي له اصبا السبع في المكان الخفي كي تنال حظها منه في جهله بها فتثبُ عليه وثبة تملكه بهواها وتاسره بموافقتها فحينئذٍ (×) العبد في جهله بها وينشط (49r) في مساعدتها وان كان يدعى انه لا يثق بها فلا يغضب الا لها ولا يرضى الا لها ولا يحتمل من الاعمال الا ما وافق هواها وان كان فيه خلاف الحق ومع ذلك يفقد من مثله الخوف الا بالدعوى ويقل منه الخشوع والحيا ويكثر فيه التزين والريا وذلك غفلة العبد عن نفسه وجهله بها ويظهر منه عند ذلك الرجا الكاذب والخوف الكاذب ويحسن ظاهره

وكلامه ويفسد ويقبح باطنــه وهمته واشارة ذلك في مثله ان يقل الايضاف من نفسه لغيره ويلتمس التعصب لنفسه من غيره انه من لم يعرف نفسه فهو من استقامة نفسه في اعوجاج ومن دنياه على قبح وفساد ومن دينه على غرور واني استرشدت العلم والعقل ان يقفاني على معرفتي بنفسي وبماذا اختلبه فارشداني بان العبد لا يصل الى معرفة نفسه الا بصدق الخوف واستدراك ما مضى من سيء اعماله السالفة واصراره على مساويه والمقام عليها فقلت اما ما مضي من الاساة فان استدركها فلعله ان يتعرف بعضها واما المساوى التي هو مقيم عليها فقد (49v عازه بمعرفتها قال انما عازه معرفتها لجهله بعيوب نفسه ولا يتلافه بها قال قلت فكيف معرفتها عيوبها فانه قد قيل ان الله تعالى اذا اراد لعبدٍ خيرًا عرفه عيوب نفسه فالنفس هل تتفرد بعيوب دون العبد وهل لهــا من عيوب غير العيوب الظاهرة من المعاصي كالفجور والسرق وشرب الخمر والغيبة وَما شاكل ذلك مما يظهر للمخلوقين قال لها معاصي باطنه تخفى على العبد وعلى المخلوقين فادناها اضر على العبد من النظام من المعاصي الظاهرة قل قلت ثبت لي علم ذلك في التنزيل او في السنة او في الاثار قال ان كان مقنعك خمسون حجة والا زدتك قلت خمس من خمسين قال الم تسمع قول الله تعــالى ان النفس لامارة بالسوء وَقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وفي قصة ولد آدم فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله قال بل سولت لكم انفسكم امرًا فصبر جميل وقال ما خطبك يا سامري الى قوله سولت لي نفسي وقال النبي صلى الله عليه وسلم رجعتم من الجهاد (50r الاصغر الي الجهاد الاكبر مجاهدة النفوس وَقال رجل ما افضل الجهاد قال مجاهدتك نفسك وهواك ويقال اكلّ شي نفس ونفس النفس الهوى ونفس الهوى الشهوات وقال الحسن حادثو هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور واقذعُوا هذه الانفس فانها ظلعة وقال يونس بن عبيد الي وحدث نفسي تحمل لي موونة الصوم في الحر الشديد بالبصيرة ولا تحتمل لي ترك كلمةٍ لا يعنيها وقال اوحي الله تعالي الي داود عليه السلام يا داود عــاد نفسك فيَ ودني بعداوتها وكان النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه يعوذون بالله من شرور انفسهم فان النفس مطبوعة على الميل الى حُب هواها ما لم يحفرها الخوف وَقد حرم الله تعالى هواهَا في الكتاب وَالسنة ويحسبك من معرفتك

بشرّها ان الله تعالي جعل هواها ضدّ الحق وهي قابلة من هواها قال الله عز ذكره يا داود انا جعلناك خليفةً في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وَقال امير المومنين عليه السلام (50v) اخوف ما اخاف عليكم طول الامل وَاتباع الهوى فاما طول الامل فيُنسي الاخرة وَاما اتباع الهوي فيصد عن الحق وَقال قايل اخاف عليكم بلايا شُحاً مطاعاً وهوىً متبعاً واعجاب المر بنفسه . قلت فالان ارجع مضطرًا الى معرفة النفس وعيوبها اذ كنت لا اسلم عليها في اعمال الشر وارجع مضطرًا الى علم معنى قول (سبعين؟) اذا عرف العبد نفسه لم يضره ما قيل فيه من ذم وَما عمل من اعمال الخير سرًا وجهرًا وقد سمعتك تقول كل ما لا يضر فهو ينفع فما اري من العلم بعد العمل اعود نفعاً على العبد من معرفته بنفسه فاشرح لي من ذلك ما يرجع بي الى النفع في اعمالي ويُبصرني فساد اعمالي وصلاحها قال ما ازال تعقل ما سالت عنه لقد سالت عن اصل الخير والشر وَفروعها ما ظهر منها وما بطن ما يعقل منه وما يجهل وسالت عن علم لا يُحتمل اليوم ومن احتمله فبعبارة القول منه فقط والعجز عن احتماله للعمل وذلك ان فيه علم الصبر والمكروه والنزوع عن ظاهر الشر وباطنه واحتمال ظاهر الخير وباطنه بمعنى حقيقة (51r) الصدق في القول والاخلاص في العمل وهو التوبة النصوح والخوف الباطن والحزن الدايم وَالفكر في المعاد وهيهات ان يصل العبد الي معرفة عيوب نفسِه الا بعقل وعلمٍ غزيرٍ وبمعرفةٍ شافيةٍ وحكمةٍ بالغةٍ وبصيرةٍ ثاقبةٍ بمعروفه ان فيه خالص الدين وَقال الله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلم قل الله اعد مخلصاً له ديني فلا تكبرن عليك الان اذ سالت عن الامر العظيم ان رجعت عليك المسالة بالجواب العظيم والوصف الشديد فانك لو علمت ما عنه سالت لاعددت لرجوع الجواب جلباب الصبر واحتمال اعظم المؤونة لجزيل الثواب وَالمعرفة النفس تفسير يكثر لا يمكن المستمع معرفة ذلك الا بالايجاز الا من قدم فراغ القلب له والنظر فيه ومراجعة السوال عنه فاني وجدت تاسيس ابن ادم على تاسيس التجارب فمن اجل ذلك ركب فيه ما ركب فيه من الاداة لدفع شر ما سلط عليه من العدو الا تري انه يقول ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا فاعقل عن الله تعالى ما حذرك من عداوتك واعلم ان ارادة ابليس وسلاحه الذي يصل (51v)

به الي الظفر بك هو آثر الاشيا عندك وهو هواك واعلم ان محبتك للطاعـة المحاربة لعدوك والمجاهدة لنفسك والمخالفة لهواك سيما اذا كانت نفسك موافقةً لهواها وكان هواك سهم ابليس المسموم بـه يصل الي قلبك وهو كلام ان فرعناه تفنّن وتفرع فكثر، وَمعرفة نوعٍ واحدٍ من الاصول التي يستدل بها على الفروع اثقل على ابليس من معرفة الف مسالةٍ، يحقق ذلك قول ابي هريرة لباب من العلم اصلح به فساد قلبي وفساد قلب من ياوي الي احب الي من صلاة حولٍ مبرورةٍ وصيام حول مبرور لان فساد الاعمال كلها انما يوتي العبد فيها من جهله بفساد قلبه ومصلحة فساد قلبه ولو عرف فساد قلبـه من اين اتى لعرف صلاحه من اين يوتى اعلم الان ان معرفة علم النفس علم صغير وانه موجود وان سمعه من يدعي عقلًا انه بعقله فان عقله في الظاهر انه يصدق به في الباطن او ان اقربه في المشاهد انه يقربه في الوحدة كلًّا انه اعز من ذلك والذي يدل على غيره انه قد صح مثل قول سفيان انه من عرف نفسه لم يضره (52r) ما قيل فيه من خيرٍ او شرٍ فاعلم علماً غير ذي شك انه اذا لم يضره انه قد نفعه فما ظنك الان برجل يبلغ في العلم درجةً ينفعه ما يضر غيره ولا اعلم عالماً ولا عابدًا على وجه الارض ممن نعرفه الان وهو يضره ما قيل فيه من خيرٍ او شرٍ ان مدح بخير فتنه ذلك المدح فضره وان مدح بشر فتنه فضره المدح وان ذم بحق احزنه وفتنه فضره الذم فاما من لا يعرف فلا يقدر علي ان يعصى فيجوز في الحكم ذلك ليعلم اني لا اعرف من يعرف نفسه ولا اعرف من يعقل كيف ينبغي له ان يعرف نفسه لا ولا اعرف من ان اخترتُه بقيـله او بفعله فمن ذلك ضرنا ما قيـل فينا من خير او شرٍ وَالله المستعان علي اغماضنـا وعلى قلة هدايتنا لمعرفته وان وصف معرفة النفس عندي اليوم لخطر عظيم عند من يدعي العقل والمعرفة والعمل قال ابن المبارك :

تغرّب الحق حتى وصفه خطر عند الحليم وعند العالم الخبر

وقد صح عندي انه من لم يعرف نفسه فهو من دينه علي غرر ومن سيره دنياه على اقتح السير واعلم انه من ضره ما قيل فيه من خيرٍ او شرٍ في سرٍ او علانية فهو يضره ما عمل من (52v) اعمال الخير او الشر وكل هذا لا يوجد الا بمعرفة الرجل نفسه واني لما تدبرت دلالات العام وَالعلم لاقع علي معرفة نفسي اصبت وصفي

ووصف من اعرف من اهل زماني ان قد ظهر من اهل زماني الوحشة والتقاطع والتدابر والتباين والحسد لامور الدنيا والغفلة والتسويف لامور الاخرة فاستوحشت لذلك وسآظني واني في طول الفكرة فيه حتى غلب على همه فوجدت دلالات العلم ونظاير الحكمة وفطن القلوب قد نعوا الينا ازمنة الخير وذكرو ادبار دولته وحذرونا وانذرونا هجوم الشر واقبال دولته واني لاري زماناً قد استدار اهله ودارت رحآوه بالشر وغلبة الهوى فرايت الجاهلية من اهل الدين واهل زماني ممن اعرف قد تباغضت وتنافرت فالقلوب منهم قد اختلفت والاهوآ فيهم قد تفرقت وبعضها من بعض قد تبرات والعلما منه قد فتنت والى الدنيا قد ركنت وقراوها قد تحيرت ولدنياها قد اثرت وعلى ذهبها وفضتها قد حرصت وعن اخرتها قد غفلت والقلوب منها قد فسدت وشكرت (53r) وعبادها قد جهلت فتعظمت وتكبرت والعهود منهم مرحت والامــانة فيهم قد قلت وفقدت والعقول منهم قد نقصت واهواوهم عليهم قد غلبت والاحلام فيهم قد غربت والمروات والاداب منهم قد ذهبت والسكينة والوقار منهم قد قلت والجفا والقسوة والوحشة بينهم قد ظهرت وبعضهم لبعض علي المداهنة قد احتملت وذلك اني وجدت الدنيا قد سقت اهلها من حبّها كاساً صرفاً سرقت له عقولهم وابدَت فيه هواهم فعادوا الى هذا الوصف فلا تسال عما وراه فلقوس الهوي بموافقة النفوس في اعراض القلوب انفذ سهاماً من دلالات العقول ولاصابة الحق مخالفة في اهداف النفوس يحقق ذلك قول ابن مسعود انتم اليوم في زمان الحق فيه قايده الهوى وسياتي بعدكم زمان يقود الهوى فيه اعمال الحق وقال ابن عباس رضي الله عنه :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم وما الدار بالدار التي كنت اعرف

وسمع صوت حين قتل عمر رضي الله عنه :

لبيك علي الاسلام من كان باكياً فقد اوشكو هُلكاً وليسو على العهد
وادبرت الدنيــا وادبر خيرها وقد ملّها من كان يوقن بالوعد

(53v) فاعقل متى قيــل هذا فاني وجدت لهذه الانفس الامارة بالسو حكومات جور خفيــة يخفى اكثر ذلك من المرء عن نفسه فضلاً عن ان يتعرفه منها حتى ان الكلمة ممــا يرجعها ويوافق هواها ويخالف الحق به ليستخرجها وان الغضبة لتظهر كبرها فان المطمع الكاذب ليمحوا ورعها

ويبطل تقواها وان الاعمال الظاهرة لباساً يعرف به اهلها اذ كانوا صادقين
او يقصدونه اذا كانوا كاذبين وان اعمال الجوارح تصححها ضماير القلوب او
تفسدها فان القلوب مهيمنة على الجوارح واعلم انا وافقنا الصالح من الماضيين
في اعمال الجوارح وحالفناهم بالهمم والقلوب من الخوف فنفرت عند الاحزان الا
بالتكلف وحزن التكلف لا ينبت او يتصرم ولم يعقل التواضع الا باظهار
السيما في تقصير الثياب وجف الشوارب والهياه في اللباس فتحابينا في الالسن
الموافقة على المداهنة وتباغضنا بالقلوب لاختلاف القلوب وعادي بعضنا بعضاً على
المصادقة والف بعضنا بعضاً على المباينة في العشرة فتنافرت القلوب ووقعت فيها
الوحشة (54r) فسيمانا سيما الكاذبين تبيّنه فينا الصادقون فاصبحنا مع قبح
الوصف وسماجة هذه الآداب لا نستاهل خروجاً عن بعض ولا دخولاً في زيادة
فما تلقى منا الا ذاماً لغيره مذموماً عند غيره مستوحشاً منه غيره غير واثق بغيره
ولا هو موثوق عند غيره الا مع موافقة الهوي على الغش والادهان لا نجد
صديقاً فنتاسّى به ونقتدي ولا خايفاً فيلزمنا الخوف ولا محزوناً بعلم وعقل
فبقينا حيارى نطلب الصدق وما اليه سبيل افتعلم يا عاقل وصف من هذا هذا
وصف عُيون اهل زمانك من مُقريهم وعلمايهم وعُبادهم والمدعين للعقول منهم
مشتهرين في رضاهم متكبرين عند خلاف اهوايهم اهل سَفَه وغلو وجهالة عند
غضبهم اهل حرصٍ ورغبةٍ ودناة نفرس عند اطماعهم حُبهم بالمصافحة بالايدي
ومودّتهم مكاشرة عند التلاقي وفي القلوب داً دفين صفة اخلاق المنافقين
قال صديقه رضى الله عنه كنا نعرف المنافقين علي عهد النبي صلي الله عليه وسلم
اذا لقونا بداؤنا بالمصافحة بالايدي والمكاشرة (54v) فاذا مضينا همزو لنا ولمزونا
وذلك اني وجدت من اعرف من اهل زماني متفقهون بالالسن يامرون به ما
وافق ذلك اهواء باطلة فيما خالف اهوانا واحتفون للزهادة في الدنيا بالالسن
عاملون فيها بالحرص والرّعبة بالجوارح والقلوب يدفعها عنا في الظاهر بالقول
ويجترها الينا بالايدي والارجل في الباطن فبدلنا الخوف من اهوال الاخرة
خوف الفقر قبل نزوله وبدلنا مكان الصدق في الاعمال جزيل الثواب من الله
للتزين عند خلقه ليعظموه ويقبلوا منا ويحسنو علينا الينا فصيرنا مكان الشكر
لله على نعمه وجميل ستره طلب الشكر من المخلوقين فاحببنا تعجيل ثواب اعمالنا

من المخلوقين في الدنيا ونزعم انا نلتمس ثوابها من الله في الاخرة وقد حرم الله ذلك علي خلقه فطلبنا الصدق بالمنا وبالاختلاق الدنية وبالكذب في القلب فهذه صفة اهل زماننا فاعلمهم مستحوذ عليه هواه واعقلهم حزين مجانب لعلمه واحلمهم يسفه فيما يحلم عنه الصبي وابلغهم في منطقه متأول واصغاهم (55r) بالاستماع يُرصدك الغوايل وانفدهم راياً يعمى عن عيوب نفسه واشدهم اجتهادا مفتون معجب واثبتهم عقلاً جاير عن محجة الحق متمسك برشا الضلالة واكملهم بصيرةً عاجز عن العمل ببصيرتــه وجاهلنا ذيبٌ مختلس مستصغر لمن ليس في درجته مستدرج من حيث لا يعلم وعابدنا جبار لا يكلم فقد احاط بنا الجهل ونحن لا نعلم مهبات ما ابعدك وعظم ما ترى وكل من يرى من التمسك بعري الاسلام قال ابن المبارك :

تغرب الحق حتى ما له علم · يؤتى اليه ولا يرجى له احد

وقال ايضاً: تغرب الحق حتى وصفه خطر عند الحكيم وعند العالم الخَبَرْ

فاذا كنت في زمان وصف الحق فيه خطر عند من يدعي العلم فما ظنك بمعرفته والعلم به فانت في بحر تضطرب عليك امواجه فساجهم كم يثبت حتى يعرف ومن لا سباحة له فهو راسب فاليوم طالب التمسك وهيهات وكيف له بالتمني فيه والتسويف وان كان ياتيه من غير وجهةٍ وكيف له ان كان عالماً بصيراً عازماً صابراً (55v) زكياً فطناً ان يقوم علي فطام ستين سنة او خمسين سنة قد احاط بسويدا قلبه فاشتد عليه عظمه ونبت عليه لحمه وشاب فيه اصداعه وَقرح فيه نابه ثم هم بالهوينا وقلة المعرفــة والصبر يريده الان فان كان يريده فليحسر عن ذراعيه وليشمر عن ساقيه وليلج بابه وليعضّ على خيار الضمير وليجدّ في الطاب ان كان راغباً في الجنة وهارباً من النــار ومحباً لله تعالى وليتاهب وليتذرع فان مباشرة الف بتدجيج يصحرون له ايسر من واحد قد كمن له لا يدري من اي وجهٍ يهجم عليه واعلم ان هذا كتاب لا يعقله عاقله الا عقل عباده ولا يقبله من سمعه الا قبول تعجب واقراره بلسانه انه الحق ومن يريده ويجهله اكثر فاما من يريده للعمل فلا اعرفه وانما رايته علماً مهجوراً لا لا يقبل ومن قبله لا يعقله ومن قبله وعقله فغايته المباهاة به فلقد هممت بتركه لانه ليس من علم زمانك ولاحاجة لهم به لانه علم يورد باهله الي مخالفة هوَي

انفسهم ومجاهديها والخلق الا من عصم الله (56r) دعايتهم اليوم من العلم والعبادة هوي انفسهم ونسأل الله عفوه وعافيته والمعونة منه تفضيلًا ورحمةً بنا وقال لو ان اهل الثغر عزو كلهم وَقاموا صفوفاً ها هنا يريدون خراب هذا الدين لرايت الحُزن ها هنا لصلاح النفس اوجب على الرجل من الحرب في فسادها يُريدون ثم قال ارايت لو كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اميرا وَالناس كلهم مثل عمر رضي الله عنه وانت علي غير ما ينبغي ما فعل صَلاحهم بفسادك الم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما وزمانهم قوم لم تنفعهم بركة النبي صلي الله عليه وسلم ولا صلاح ابي بكر وعمر وزمانهم ثم قال اذا لم ينفعهم صلاح اوليك فما يغنيك اليوم صلاح غيرك ثم قال عُد انك قمت وَجهدت علي ان اقمت الناس على حدٍ كما ينبغي الخادم الصغير وَالكبير ولم يهتم لنفسك فما تغنيك اقامتهم علي الحد او ليس العجب تركتهم نفسك وهي اعز الانفس عليك وَاقبلت علي هم غيرك او ليس هذا العجب وقال انظر (56v) زمان النبي صلي الله عليه وسلم اموالهم ونفقاتهم وتوهم وارح النفقة في ذلك الزمان (ربّما اسقط الناسخ بعض الكلمات في هذه الجملة) كان يرفع صاحبه الي السماء حياً في المثل لانه كان اموالهم واخبارهم ونفقاتهم ظاهرةً وكان في ذلك الزمان الفقير خيرا من الغني فكيف ترى اليوم حيث فسدت الاموال والانفس وَالزمان والنية ثم قال لا اعلم اليوم شياء خيراً من الفقر حتى لا يبلغ شي من اعمال البر النافلة مثل الحج والغزو وغير ذلك. ثم قال ارايت لو ان رجلًا قام ها هنا من خيار هذه الامة وآخر من شرار هذه الامة فتطاول هذا الخيّر علي هذا الرجل السوء فما يغنيه خيره وعبادته ولو كان قد عبد الله ماية سنةٍ فاذا لم تستقم للخيّر ان يتطاول على الرجل السوء فكيف ترى حال من يتطاول على من هو خير منه **امره** وَقد بلغنا ان ثلثة اشيا تقسّي القلب كثرة الكلام في غير ذات الله تعالى والذنوب اذا حمل بعضها على بعضٍ وَملء البطن من الطعام وَقال احفظ لسانك ولا تقولن الا حقا واسكت (57r) فانك اذا فعلت ذلك ادْخلك في اصناف الخير والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله اجمعين وهو حسبي ونعم الوكيل. بلغ مقابلة بحمد الله.

الخلاصة

هذه هي المخطوطة اليتيمة التي نعزيها الى المحاسبي وقد نَفِي بوعدنا فنقدّم للقارئ ازائية نصوص هذا الصوفي المعروفة التي نشرت من كتاب الرعاية ومخطوطنا فندلّل بذلك على صحّة قولنا. واننا نلجأ الى هذه الطريقة من مقابلة النصوص لأننا لم نجد، عبر التاريخ، من يذكر هذا التأليف ولا من يعزيه الى المحاسبي، كما قدّمنا.

لن يعزب عن مطالع كتاب الرعاية ومخطوطنا أن ما بين المؤلّفين من الشبه، إن في الافكار او في انتقاء المفردات للتعبير عنها وإن في تركيب الجمل او في عناوين الفصول نفسها، لحجّة كافية وبرهان قاطع على صحة ما تقدّم. فلا يستطيع المنقّب الّا الرضوخ امام هذا التقارب والشبه ولسان حاله يردّد: المؤلّف واحد. وسوف نرى في الازائية التي سنبرزها ان الاغلاط النحوية هي هي في المؤلّفين، مما يدلّ ايضاً على قدم المخطوطتين، على ثقافة الناسخ الضئيلة او على سهوٍ في الأصل.

ولكنّ ما يوقفنا في هذا الصدد هو ترديد بعض الافكار الاساسية التي شاد عليها المحاسبي البناء الروحي. فلا تقرّب من الله ولا وصول اليه الّا بقطع الرياء والحذر منه، الّا بقلع العجب بالرأي والقيام باعمال الطاعة. واننا لا نجد عنده تحليلاً دقيقاً للوصال. فقد ترك لمن سيليه من الصوفيين، ابن الفارض وغيره، ان يقوموا بتلك المهمة. احبّ المحاسبي أن يوطّد اساس الحياة الروحية، وعلى هذا الاساس يستطيع غيره تجميل البناء وتوسيعه.

اوَ نقول اذاً ان مخطوطنا ليس الّا ملخّص كتاب الرعاية خطّته يد تلميذ معجب بافكار معلّمه. ولمَ لا نقول ان المحاسبي نفسه احبّ ان يلخّص لتلاميذه في مؤلّف محدود الارجاء فكرته في الحياة الروحية ويزيد عليه ما رأى من الخير زيادته. فان تكلّم مرّتين في كتاب الرعاية عن الصدق وقلب الصادق فهو يُعيد الكرّة هنا ويتوسّع بالفكرة الى حدّ نرى من خلاله ان مخطوطنا ليس ذلك الملخّص ولكنه مؤلّف جديد لم يكن معروفاً الى اليوم.

ليس للمؤلّف ان يُبدع في كل كتاب تخطّه يده افكاراً جديدة فاذا اودع الواحد منها عصارة دماغه والكثير من حدسه والنقط الاساسية لبناء هيكل تفكيره، فلا بأس اذا توسّع في كتبه التالية بنقطة من تلك النقاط ذات فائدة وموضحة بعض المبادئ. فهكذا صنع المحاسبي ونجح.

واذا لمحنا الى التقارب الكبير بين كتاب الرعاية ومخطوطنا فلا نستطيع القول نفسه عن كتاب التوهم . فلم يكن في نية المحاسبي في كتابه هذا الاخير ان يعرضَ افكارًا روحية بل احبّ ان يصف فيه ما يعتري الانسان من الرهبة والوجل في يوم الحشر والنشر والحياة الباقية مع ما هنالك من صور خيالية استسلم اليها المفسّرون . فلا غروَ اذًا ان تكون نصوص المؤلّفين بعيدة عن بعضها في مفرداتها وافكارها .

لقد توصل المحاسبي في تحليله الطرق التي على المريد ان يسلكها إلى أن يُصوّر له ، بدقّة وصف وتميزٍ صافٍ بين التشعّبات العديدة التي يُخاف ان يتتبّعها وتُقصيه عن الكمال ، تلك الخلوة الاولية الضرورية والاجتهاد في السعي وراءها. ولئن راح المريد يسير نحو الله بضمير صادق فعليه ان يعلم أن كل درجة وكل منزلة من درجات العابدين تتطلّب منه زهدًا وتخليًا كاملًا عن الدنيا وزيادةً في التقوى اي في الخوف والرجاء . اذ لا يتوصّل المريد الى الله الّا عن طريق الاستدراج اذ يرافقه الصمت ومخالفة الهوى . ولكن العقبة التي توقف المريد في طريقه نحو الكمال هي الرياء وحبّ التزلّف والعظمة فلذلك اخذ المحاسبي على عاتقه أن يصوّر الرياء والمرائي في صورة تولّد الاشمئزاز في نفس المريد وحب التخلّص منه.

ولكن ماذا ينفع المريد إن تخلّص من الدنيا وزهد في ملذّاتها ، اذا لم يعرف الطريق للوصول الى هدفه وغايته ؟ فبعد ان يكون المحاسبي توقّف مليًّا عند السلبيات يأخذ في تصوير الايجابيّات — وهذا هو الجديد في هذا المخطوط — في تصوير الصدق وصفاء النية وقوة الثقة والرجاء بالله وكيف تقوّي هذه الفضائل المريدَ على التخلّص من المعاصي والسيئات وتقوده الى القيام بما يقرّبه من الله ، الى عمل الحسنات وما يتشعّب منها .

هناك صفحات في المخطوط علينا ان ننسخها هنا بكاملها ، اذ لا نقوى على اختصارها ، فكل فقرة وكل جملة اصليّة في تطوّر المعنى وفي التعبير الوافي عن الفكرة الاساسية . وهذا ما حدا بنا الى الوقوف عند هذا الحدّ من التحليل طالبين الى القارئ ان يتأمل فكرة المؤلّف دون وسيط .

واليك بعض تلك النصوص المحكي عنها . وقد يطول ذكرها اذا احببنا

ان نذكرها كلها فنقتصر على ذكر بعضها : فالارقام تـدل على صفحات نشرة مرغريت سميث[1] لكتاب الرعاية وعلى ورقات المخطوط كما بدت في نشرتنا كتاب الخلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين :

كتاب الرعاية	كتاب الخلوة والتنقـل في العبادة ...
فاستوحشوا حين استأنس الناس استيحاشاً من الخلائق واستيناساً بهم فهذه مواريث التقوى لانها اساس العمل واصل الطاعة وهي اول منزلة العابذين ، ص ٧	درجات العابدين 1r
فالتقوى اول منزلة العابدين ، ص ٩	درجات العابدين 1r
	حالات مختلفة وطبقات متبدلات 22v
ونحن لا يأتي علينا يوم الا جددنا فيه ذنوباً لم تكن من قبل نضيفها الى ما خلا من الذنوب بالامس من ذنوب الجوارح وذنوب الضمير من الكبر والحسد والشماتة وسوء الظن والعجب والريا وغير ذلك ، ص ١١	وجميع من ذكرنا من المستدرجين لا يخلون من العُجب والريا 7r راجع 33v
فاصل الطاعة الورع واصل الورع التقوى واصل التقوى محاسبة النفس واصل محاسبة النفس الخوف والرجاء والدليل على محاسبة النفس العلم بما تعبد الله ، ص ١٢	
انما الاعمال بالنيـّة ، ص ١٣	راجع 24v, 25r
الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، ص ٨٤	فنظرت من ارجا الناس للرحمة فاذا هو المقبل على طاب الاخرة بالعبادة والزهد 40r
كلما ذكر ما كان فيه من ذنوبه هاج خوفه وغلب همه وطال حزنه ، ص ٢٠	باب الخوف والرجاء 30r
ويتحول به عن خطاياه وذنوبه الخوف والرجاء لربه ، ص ٢١	باب التمييز بين الخوف والرجا 17v

[1] Kitāb al-Riʿāya liḥuqūq Allāh, by Abū ʿAbdallah Ḥārith ibn Asad al-Muḥāsibī. — edited by Margaret Smith, M.A.D. Lit. Coll. « E.J.W. Gibb Memorial ». New Series, XV, Luzac 1940. London. XIX — 343 pp.

وانما جعل الجزاء من العقاب والثواب للرهبة والرغبة من الله تعالى ، ص ٢٣	راجع ما بعد
فاخبر انهم لما رغبوا ورهبوا ، ص٢٣	راجع ما بعد
فاذا اعمل قلبه بالفكر بالتخويف لما خوّفه ربّه جلّ وعزّ لم يهيج منه الخوف سريعاً لطول غفلته ، ص ٣٠	فلا تلقاه وان كان نال منها الّا مستشعرًا خوفًا زايلًا منها 19v
ولا يهيج الخوف ، ص ٣٠	بمنع الحواس عن الاخبار التي فيها تهيج القلوب 2v
وناجاه بقلب راغب راهب ، ص ٣٤	وقف على ذلالتها من الترغيب والترهيب 4v
جهالة ، ص ٣٤	وما اكثر حاجتك الى جهالة الناس بك 28r اهل سفه وغلو وجهالة 54r
النوافل ، الفريضة ، المكر ، الطاعة ، الرياء ، قصر الامل ، اهل الشقاوة والعداوة ، الجوارح ، قبول الخطرة ، النيّة ، مراتب العباد ، الخوف ، الرجاء ، التزيّن . . .	هذه المفردات غيرها في كل صفحة من صفحات المخطوطتين .

⁂

واذا نوّهنا الى بعض الاغلاط النحويّة فاننا نعزيها ، كما قدّمنا ، الى السهو. وهاك بعض الامثال : فكل ما مضى منهم يوم . . . او ليلةٍ (1v) ، وفكرهم مدبرة (2r) ، وليس فيها نوبةً (34v) الخ . . .

وهناك عادة للناسخ ، يكتب الافعال في المخاطب الجمع بدون الف اخيرة : فطنو ، وجدو ، وليسو . . . ومرّات يزيدها : اوتوا (8v) ومرات يضعها في المخاطب المفرد : يزكوا (2r) ، يخلوا (3r) ، يرجوا (18v) .

ومن طالع المخطوط وقف على بعض هذه الهنات بسهولة . فكفى .

⁂

هذا ما لنا ان نقوله في كتاب الخلوة للمحاسبي ولعلّنا وفينا بوعدنا تاركين للقارئ ان يستنتج ما له ان يستنتجه وآملين ان نكون ساعدنا ولو قليلًا على معرفة المحاسبي والدخول في نفسانية ذلك النفساني الكبير .

فهرس

صفحة

تصحيح الاغلاط

الصفحة	الغلط	الصواب
8v	الحرص	الحرض
32r	بالداء	بالداء
32r	ارحى	ارجى

crit à al-Muḥāsibī et que cette critique interne seule pouvait ici nous rassurer.

Le manuscrit que nous avons eu sous la main est un *unicum*. Sa lecture, facile très souvent, n'était pas sans difficulté parfois, parce que les lettres arabes sont dépourvues des points diacritiques et des voyelles. Je dirai même que le copiste, qui ne fait pas preuve d'une vaste culture, a laissé parfois tomber certains mots nécessaires pour le sens. Nous l'avons noté en son lieu.

Il reste que cet ouvrage qui reprend les principales idées du *Kitāb al-Riʿāya* n'en est pas simplement un résumé. Toute une partie, assez longue, et qui traite du vrai et de la droiture, est très peu développée dans ce dernier ouvrage, pour ne pas dire inexistante. C'est par là que notre traité reste nouveau par rapport à l'ouvrage édité par M. Smith.

Nous avons tenu à publier ce manuscrit tel qu'il est, sans y apporter aucun changement. Nous avons voulu respecter la langue dans laquelle il nous a été transmis. Quelques corrections auraient clarifié le sens. Le lecteur attentif retrouvera facilement la pensée de l'auteur.

Nous avons, cependant, à la fin de notre édition, relevé quelques fautes grammaticales. Nous n'avons pas voulu en prolonger la liste.

Nous espérons que ce nouveau traité enrichira la connaissance que nous avons d'al-Muḥāsibī en attirant l'attention sur certains points qui étaient restés trop implicites dans les autres ouvrages.

I.-A. K.

Université Saint Joseph, Beyrouth
le 3 décembre 1955

PRÉFACE

Lorsqu'on aura lu ce traité de vie ascétique, on pourra voir avec quelle précision, dans les premiers temps de la pensée religieuse de l'islâm, al-Muḥāsibī a décrit les vertus fondamentales de celui qui entend marcher vers Dieu, se libérer du monde et retrouver la paix du cœur dans la loyauté.

Déjà al-Muḥāsibī avait développé dans un ouvrage plus long et plus détaillé, *Kitāb al-Riʿāya*, les nombreuses démarches du *murīd*, du novice qui s'engage dans la voie de la perfection. Ce livre a été édité par Margaret Smith en 1940 dans le «Gibb Memorial», new series, XV.

D'autres ont publié certains ouvrages d'al-Muḥāsibī, comme A. J. Arberry 1) ou L. Massignon 2). Mais les uns et les autres ont passé sous silence le traité que nous présentons aujourd'hui. Brockelmann lui-même ignorait notre manuscrit. Les auteurs musulmans qui ont parlé d'al-Muḥāsibī donnent de longues listes des ouvrages de cet auteur, mais ne font aucune mention de notre traité.

Al-Muḥāsibī développe ici les principales idées que nous trouvons à chaque page du *Kitāb al-Riʿāya*. Le vocabulaire, les mots-clés, parfois même les expressions elles-mêmes se ressemblent. Les thèmes sont développés avec la même psychologie déliée et subtile ici et là.

Nous avons alors établi une rapide comparaison de ces deux ouvrages et nous avons trouvé que le rapprochement était facile, que nous ne pouvions pas douter de l'attribution de notre manus-

---

(1) Kitāb al-Tawahhum, by Ḥarith ibn Asad al-Muḥāsibī. — edited from the unique Oxford MS (Hunt 611), by Arthur, J. Arberry, Litt. D. — Cairo 1937, 63 pp.

(2) L. Massignon : Essai sur les origines du lexique technique de la mystique musulmane. — Paris 1922, pp. 211-225.

AL-ḤĀRIṮ IBN ASAD AL-MUḤĀSIBĪ

LE LIVRE DE L'ESSEULEMENT ET DE LA MONTÉE

édité

par le Père Ignace Abdo Khalifé s. j.

IMPRIMERIE CATHOLIQUE
BEYROUTH
1955

A.U.B. LIBRARY

189.3:M951kA:c.1
المحاسبى ،ابو عبد الله الحارث بن اس
كتاب الخلوة والتنقل في العبادة ودرجا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01007871

189.3
M951kA